الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الحرب في شعر الصعاليك
عروة بن الورد أنموذجا

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر
الشعبة: أدب عربي التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
*- خديجة الفني
*- سميرة رابط

إشراف الأستاذة:
*- سعاد بولحواش

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة الآية 32]

دعاء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على خير البرية وأشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والسلام، يا ربي لاتدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا نصاب باليائس إذا فشلنا....

اللهم ذكرنا بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح....

وأن حب الإنتقام هو أول مظاهر الضعف....

يا رب إذا أسائنا للناس فأعطنا شجاعة الإعتذار، وإذا أساء لنا الناس فاعطنا شجاعة العفو....

اللهم إذا جردتنا من المال فاترك لنا الأمل وإن جردتنا من النجاح فاترك لنا قوة الصبر حتى نتغلب على الفشل...

وإن جردتنا نعمة الصبر أترك لنا نعمة الإيمان...

يا رب إن نسيناك.... فلا تنسانا...

شكر وتقدير

الحمد لله باسمه نعتصم وببركاته نستهدي، سبحانه لا يحصى ثناء عليه فحمدا له في الأول والآخر، ملهم الصواب وولي التوفيق اللهم لك ولرسولك الكريم جزيل الحمد وموفور الشكر على ما حضينا به من نعمة التوفيق والهداية التي أنارت لنا السبيل وذللت لنا الصعاب وأعنتنا على تقديم هذا العمل المتواضع، فإن فاتنا أجر الإصابة فلا أقل من أجر الاجتهاد.

كما أنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله واعترافا منا بما قدمته لنا الأستاذة المشرفة من نصائح وتوجيهات وكل ما لزمنا لإخراج هذه المذكرة على هذا النحو نتقدم بالشكر والعرفان والتقدير والاحترام لأستاذتنا الفاضلة

"سعاد بولحواش".

كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر إلى الأساتذة أعضاء هيئة المناقشة لما تكبدوه من عناء مراجعة هذه الدراسة وتقييمها وإلى كافة أسرة إدارة المركز الجامعي "عبد الحفيظ بوصوف ميلة" ونخص بالذكر أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها كما لا ننسى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو بعيد ومن مد يد العون لنا ولو بدعاء صادق.

خديجة وسميرة

مقدمـــــــة

مقدمــة:

اتسمت الحياة الإنسانية بكثير من التناقضات، فالموت يطارد الحياة والعدل يواجه الظلم والسلام يصادم الحرب، هذه المشاعر الإنسانية عبر عنها الشعر العربي أصدق تعبير وخاصة الشعر الجاهلي.

فللشعر الجاهلي أهمية كبيرة، إذ هو المعين الذي رفد القصيدة العربية في العصور اللاحقة وأثر فيها واستمر هذا التأثير في العصور التالية إلى يومنا هذا وذلك لما له من حيوية وواقعية في نقل الصور الحية الموحية التي تمثل التراث والواقع معا.

فكثير من الشعراء صوروا الحرب وكتبوا فيها وعليها، وذكروا أيام العرب في الجاهلية ومن بين هؤلاء الشعراء" الصعاليك "هذه الفئة الجاذبة للدارسين والنقاد، بما عرفوا به من مواقف مائزة جعلتهم صورة باكرة لمفهوم المعارضة السياسية في تاريخنا العربي.

إذ نشأت هذه الطائفة بفضل ظروف جغرافية وأوضاع اقتصادية وتقاليد اجتماعية حيث عانت الويلات من الفقر والتشرد والحرمان والقهر، مما دفعها إلى استعمال أساليب للدفاع عن نفسها وتوفير متطلبات حياتها ومن بينها الحرب التي تعد وسيلة للدفاع باستعمال السلاح للانقضاض على الأعداء وردعهم، وكان هذا سببا في اختيارنا لموضوع الحرب في شعر الصعاليك عروة بن الورد أنموذجا، وقد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تجسدت فكرة الحرب في عالم الصعاليك؟ هل الحرب في شعرهم تعبير عن حياتهم؟ هل هي مجرد صفة التصقت بهم؟ وما هو دور عروة بن الورد فيها؟ هل هو محارب أم شاعر؟ أم كليهما؟

و انجذبنا إلى دراسة شعر الصعاليك، و انفردنا بدوافعنا الخاصة والجديدة التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع ومن أبرز هذه الأسباب:

أن شعر الصعاليك حظي باهتمام كبير من قبل الدارسين، السبب الذي دعانا إلى طرق باب هذا الموضوع والاطلاع على أهم الأسرار التي كانت وراء خلق هؤلاء الجماعة.

ولعل أهم سبب في اختيار هذا البحث هو الجدل المثير حول طبيعة العلاقة بين الحرب والصعاليك وحول آلية هذه العلاقة، أما القصد من دراسة قصائد عروة بن الورد هو إثارة النقاش حول هذه القضية والكشف عن أهم الجوانب المتعلقة بالحرب وكيف تجسدت في شعره.

وقد قسمنا البحث إلى: مقدمة وثلاثة فصول خاتمة، فالفصل الأول جاء بعنوان: الحرب في العصر الجاهلي، وقد خصصنا هذا الفصل بالمفاهيم النظرية التي تتعلق بتعريف الحرب، أسبابها، عدتها، عاداتها، آثار الحرب، وعلاقتها بالصعلكة.

والفصل الثاني فجاء بعنوان: شعر الصعلكة في العصر الجاهلي، فقد خصّ بالصعلكة من حيث المفهوم وأسباب وأنواع وطوائف الصعاليك وموضوعاتهم والخصائص الفنية التي يمتاز بها شعرهم.

والفصل الثالث فعنوانه: تجليات الحرب في شعر عروة بن الورد فقد تطرقنا فيه إلى الحرب ودلالة البنية الصوتية وكذلك الحرب والصورة الشعرية ودلالة الحرب في شعر عروة بن الورد.

أما المنهج الذي سرنا عليه في هذا البحث فهو المنهج الموضوعاتي حيث قامت هذه الدراسة على تسليط الضوء على شعر عروة بن الورد باختيار مقطوعات وقصائد من شعره.

وشعر الصعاليك من المواضيع التي توافد عليها الكثير من الباحثين، ومن أهم الدراسات التي تعد أساسا في دراسة ظاهرة الصعلكة هي دراسة الباحث "يوسف خليف" التي عنوانها "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" حيث تعد أول دراسة تناول فيها تعريف الصعلكة والأسباب المؤدية إلى نشأتها.

ولقد تطلب بحثنا العودة إلى عدد من المصادر والمراجع من تراثنا العربي وعلى رأسها أهم مصدر: ديوان عروة بن الورد، وشعر الصعاليك منهجه وخصائصه لعبد الحليم حفني ، صورة الحرب وأبعادها الأسطورية لابتسام نايف صالح أبو الرب، والشعر وأيام العرب في

الشعر الجاهلي عبد الرحمان عفيف، كما اعتمدنا على بعض المعاجم كمعجم لسان العرب لابن منظور.

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات: ضيق الوقت الذي شكل عائقا كبيرا أمامنا، صعوبة الحصول على الكتب، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا "سعاد بولحواش" التي منحتنا من وقتها وعلمها، فلها منا كل التقدير والإجلال.

الفصل الأول:

الحرب في العصر الجاهلي

أولا: تعريف الحرب.

ثانيا: أسباب الحرب.

ثالثا: أنواع الحرب.

رابعا: عدة الحرب.

خامسا: عادات الحرب.

سادسا: آثار الحرب.

سابعا: علاقة الحرب بالصعلكة.

أولا: تعريف الحرب:

إن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله تعالى وأصلها، إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منهم أهل عصابيته فإذا تذمروا لذلك توافقت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع وهكذا كانت الحروب.

أ- المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب: "الحرْبُ: نَقِيضُ السِلْمِ، أُنثَى، وأَصْلُهَا الصِفَةُ كَأَنَهَا مُقَاتَلَةُ حَرْب هَذَا قَوْلُ السَّيْرَافِي، وَتَصْغِيرُهَا حُرَيْبٌ بِغَيْرِ هَاءٍ رِوَايَةً عَنْ العَرَبْ، لِأَنَهَا فِي الأَصْلِ مَصْدَرٌ وَمِثْلُهَا ذُرَيْعٌ وَقُوَيْسٌ وقريشٌ"[1]. وَهَذَا يعني أن الحرب عكس السلم لما فيها من صفة القتال التي ينهى عنها السلم.

وفي قاموس محيط المحيط يقال: "الحَرْبُ القِتَالُ وَ اخْتِلاَفٌ بَيْنَ قَوْمَيْنِ بِفَصْلِ بِقُوَةِ السِلاَحِ مُؤَنَثُ يُقَالُ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ج: حُرُوبٌ، قَالَ الخَلِيلُ تَصْغِيرُهَا حُرَّيْبٌ بِلاَ هَاءٍ روَايةً عَنِ العَرَبِ، قَالَ المَازِنِي لِأَنَهَا في الأَصْلِ مَصْدَرٌ (...) وَقِيلَ الحَرْبُ تُؤَنَثُ باعتبَارِ المُقَاتَلَةِ ونَذكُرُ باعْتِبَارِ القِتَالِ، وَ أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَنِي أيّ عَدُوٌ، وفي الكُلِيَاتِ كلُ مَنْ عَصَاكَ فَهُوَ حَرْبٌ لَكَ، وَرَجُلٌ حَرْبٌ شَدِيدٌ الحَرْبِ شُجَاعٌ"[2]. إن السامع لكلمة الحرب يتبادر إلى ذهنه مفهوم القتال والذي يكون في أغلبه بالسلاح فهو يعتبر الفاصل بين القومين وهذا يدل على وجود عدو يدفعه للدفاع عن نفسه.

كما ذكر في قاموس محيط المحيط "حَرْبُهُ مِحرُبهُ حَرْبًا أَخَذ مَالَهُ أيّ سَلَبَهُ وتَرَكَهُ بلاَ شَيْء، ومَالَ الرَجُلِ صَادَرَهُ، وَحَرِبَ الرَجُلُ مَالَهُ أيْ سَلَبَهُ، وحُرِبُ يُحَارب حَرْبًا كُلِبَ وَاشْتَدَ

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1، (د، ط)، (د، ت)، ص815، 816.

[2] بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، 1987، ص157، 158.

غَضَبُهُ وَدعَا بِالوَيْلِ والحَرْبِ (...) وَحَارَبَهُ مُحَارَبَةً وَحِرَابًا أَقَامَ عَلَيْهِ الحَرْبَ"[1]. أي أن الحرب وسيلة للسلب والنهب، وهي دليل على شدة الغضب والتوعد إليه بالحرب.

وقد جاء في معجم الوسيط: "الحَرَبُ: الوَيْلُ وَالهَلاَكُ يُقَالُ وَإِحَرَابَاهُ: عِندَ إظهَارِ الحُزنِ والتأَسُفِ"[2]. إن الحرب ترتبط بالهلاك والدمار، وكلما وجدت الحرب دَبَّ الحزن والكآبة في النفوس.

ويقال أيضا: "الحَرْبُ القِتَالُ بَينَ فِئَتينِ مُؤَنَثَةٌ وقَدْ تُذكَرُ عَلَى مَعنَى القِتَالِ (...) يُقَالُ قَامَتِ الحَرْبُ عَلىَ سَاقٍ: اشتَدَّ الأَمرُ وصَعُبَ الخَلاَصُ مِنهُ، وَرَجلُ حَرْبٌ شدِيدُ الحَربِ شُجاعٌ، وَحَرْبٌ لِي وَعَليَّ: عَدُوٌّ يَسْتَوِي فِيهِ المُذَكَرْ وَالمُؤَنَثُ"[3]. فالحرب تستلزم وجود طرفين متخاصمين كقبيلتين أو دولتين، وقامت الحرب على ساق إذ بلغت ذروتها، وهي دليل على الشجاعة والرجل المحارب يتصف بالشجاعة والبسالة.

ويقال: "حَرَبَهُ بِالحَرْبَةِ حَربًا: طَعَنَهُ بها وَحَربًا: سَلبَه جَمِيعَ مَا يَملِكُ، وَيُقَالُ: حَرَبَ فُلاَنًا مَالَهُ، فَالفَاعِلُ حَارِبُ، وَالمَفْعُولُ مَحْرُوبٌ (ج) مَحارِيبُ، وَهُوَ حَرِيبٌ (ج) حَرْبَى، وحِربَاءٌ (حرَبَ)، حِرْبًا: أُخِذَ جَمِيعَ مالِهُ واِشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَقَالَ: واحَرَباه فهو حَرِبٌ (ج) حَرْبِيٌّ، أَحْرَبَ أَخْرَجَ حَرْبَهُ"[4]. فمن صفات الحرب الأخذ والسلب والنهب والقتل.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

"الحرب رحى ثقالها الصبر، وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأنا، وزمامها الحذر، ولكل شيء من هذه الثمرة، فثمرة المكر الظفر، وثمرة الصبر التأييد، وثمرة الاجتهاد التوفيق، وثمرة الأُناة اليمن، وثمرة الحذر السلامة، ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال

---

[1] بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، ص157.

[2] مجموعة من اللغويين: معجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، مصر، ج1، ط3 ،1985، ص190.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] مجموعة من اللغويين: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص193.

والحرب بين الناس سجال، والرأي فيها أبلغ من القتال، فالحرب أولها شكوى، وأوسطها نجوى وآخرها بلوى"[1]. الحرب تتطلب عدّة فنون يجب أن يتحلى بها المحارب منها الصبر والمكر والاجتهاد والثقافة والحذر منها تنتج ثمار المحارب التوفيق والسلامة.

"الحرب عند الأمم القديمة هي الدفاع عن النفس وهي حق مشروع أقرته الشرائع جميعا فهي وسيلة للبقاء فطبيعة النفس البشرية تميل إلى البقاء من خلال القضاء على كل ما يواجهها ويقف في طريقها، وهذا ما يجعل الإنسان يسعى دائما إلى البحث عن حياة أفضل ولو كانت على حساب غيره"[2]. فإن صراع الإنسان مع الآخرين إنما لتحقيق أهدافه ورغباته ونزعاته الإنسانية فجنوحه للحرب يوضح تجليات النزعة التدميرية الذاتية فليست الحرب إلا اندفاعا لا شعوريا نحو الموت وتلبية لنداء داخلي بإيقاف الحياة وهو الذي يجعل النزاع والصراع والحرب متأصلة في النفس البشرية تتلون بألوان عدة منها الفوز بالنصر أو الهروب من الحرب أو القتل والموت من أجلها.

"الحرب هي حوار إرادات تنتصر فيها الإرادة الأقوى والأكثر تصميما على بلوغ الهدف"[3]. فمن يدخل في بوتقة الحرب يجب عليه أن يتحلى بالإدارة والصبر على أهوالها وأن يرسم هدفا يجب الوصول إليه دون رجعة ولا تردد وأن يكون مصمما على بلوغه.

"فهي مجال الصراع المستمر بين الشعوب التي تناضل من أجل حريتها وتقدمها وتخلصها من الاستغلال والتخلف"[4]. وعليه فما الحرب هنا إلا وسيلة يتخذها الإنسان من

---

[1] بن عبد ربه: العقد الفريد، تح، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1983، ص85، 86.

[2] ابتسام نايف صالح أبو الرب: صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ إحسان الديك، قسم اللغة العربية وأدبها، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2006، ص13.

[3] عبد الرحمن عميرة: الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2006، ص 134.

[4] المرجع نفسه، ص127.

أجل الحصول على حريته والتخلص من الاستبداد والاستغلال والنهوض والتقدم والتحضر للحصول على غَدٍ أفضل.

إن الحرب هي إعلان عن حالة استنفار وتجمع للقتال والوقوف في وجه العدو، فإن استمرار الإنسان يعتمد على القتل، فالحرب فاغر فاه يتغذى على السلم[1]. تعتبر الحرب ذلك الجدار المحصن للإنسان للوقوف في وجه أعدائه، ووسيلة للحفاظ على بقائه واستمراره وأينما وجدت حرب يتلاشى السلم ويضمحل.

ثانيا: أسباب الحرب:

لا توجد أسباب ظاهرة تفسر وقوع بعض الحروب لكن يظل السبب الرئيس والدافع المباشر لهذه الحروب هو حب العربي تقديسه للحرب وإشباع غرائزه، أما الأسباب المعروفة لدى كثير من الباحثين فهي كثيرة منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي.

أ- الدافع الاجتماعي:

"فهو قائم على الأخذ بالثأر هذه الظاهرة التي سيطرت على عقل البدوي الذي لا يرتاح ولا يغمض له جفن قبل الأخذ بثأره وتعظم المصيبة عندما لا يكتفي الرجل بالثأر من الرجل فحسب وإنما يصمم على إبادة القبيلة"[2]. إن حب الثأر يؤدي إلى استمرار نار الحرب ويتعرض لها أناس ليس لهم أي ذنب، فالثأر شريعة البدوي المقدسة التي لا يمكن لأحد أن يمسها أو يغيرها، فالحروب لا يمكن أن تنتهي ما دامت هناك حياة.

لذى أصبحت الحرب سنة من سنن الحياة الجاهلية وشريعتهم المقدسة يحققون بها الحياة في هذا المجتمع الذي تسيطر فيه القوة وتتحكم فيه[3].فالحروب أصبحت هاجسا يقلق البدوي وهذا ما جعله يدرك ضرورة هذه الحروب في بقائه حياً وفي رفعة شأنه وقدره بين الشعوب

---

[1] ابتسام نايف صالح أبو الرب: صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، ص14.

[2] ضناوي سعيدي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص141.

[3] عبد الرحمن عفيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1982، ص73.

فذهب إلى تهيئة نفسه وقبيلته ليكونوا على استعداد لها ويقدموا أرواحهم فداءً لها فهي التي باستطاعتها أن ترفع شأن القبيلة أو تذلها.

فالأيام هي اسم لتلك الحروب التي وقعت بين القبائل العربية الجاهلية " وقد سميت الأيام وعرفت بأسماء الأماكن التي وقعت فيها هذه المعارك كيوم كلاب وشعب جبلة وجدود وأعشاش أو بأسماء الأشخاص أو الحوادث البارزة فيها كيوم البسوس ويوم حليمة ويوم داحس وغبراء"[1]. إن ما وصلنا من هذه الحروب والغزوات الجاهلية يدل على اهتمام الجاهلي بها وقد حفلت كتب التاريخ بكثير من المعارك التي قام الجاهليون بها وهذه الحروب والغزوات أطلق عليها اسم الأيام، تكون يوما أو يكون أشهرها يوم ويدل هذا على عدم استمرار القتال بل في هذا تحقيق تأريخ واستهجان واستحسان أيضا.

ب- الدافع الاقتصادي:

لقد كان أساسه طبيعة الحياة القاسية "فإذا أخلفت السماء أمحلت الأرض أكل بعضهم بعضا"[2]. يعد العامل الاقتصادي من أهم أسباب نشوب الحروب فإذا لم تمطر السماء فلا وجود للمحصول في الأرض وهذا يؤدي إلى الجوع ومن ثم الحرب لضمان الاستمرار والحياة.

إن الحروب والمنازعات والغارات عند العربي فرضتها طبيعة الحياة العربية (...) فالحرب رفيقهم الدائم الذي يصحبهم في كل غارة يقومون بها وذلك من أجل تحقيق متطلباتهم اليومية[3]. إن الحاجة والفاقة هما ما دفعا بالعربي لاتخاذ الحرب لتلبية حاجاته اللازمة التي يحتاجها في حياته اليومية من مأكل وملبس.

---

[1] القيسي نوري حمودي: الفروسية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984، ص96.

[2] الخفاجي محمد عبد المنعم: الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1973، ص91 ،92.

[3] بشار سعيدي اسماعيل: شعر الصعاليك الجاهلين من الدراسات الأدبية النقدية القديمة والحديثة، دار مجدلان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص51،52.

"فالصراع على أسباب الحياة كان ظاهرا عند العرب، كالصراع على الكلأ والماء وهذا ما يبين لنا سبب تتبع البدوي مساقط الغيث ورحيله وراء الماء، فالأرض الخصبة الموفرة بالماء والعشب كانت مطمعا لكل قوي، وذلك سبب غياب السلطة التي تحكم أهل البادية فالقوي يأكل الضعيف"[1]. إن أهم دوافع الحرب كان بداية من أسباب الحياة ألا وهي الماء والكلأ يجري وراء بيئة مناسبة للعيش، فالأرض الخصبة محل طمع كل واحد وهنا يستولي القوي عليها ولا مكان للضعيف فيها.

عندما تعددت الموارد الاقتصادية ازدادت الحاجة إلى الحرب، فأصبحت حماية المناطق المزروعة وأماكن الصناعة وقوافل التجارة أمرا ضروريا خاصة لفقدان السلطة المركزية التي يحتكم إليها الناس في خلافاتهم ويمتثلون لقوانينها ويعتمدون عليها لحمايتهم، فعند فقدان مثل تلك السلطة يصبح كل فرد مسؤول عن حماية نفسه مما يزيد حاجتهم إلى الحروب[2]. عندما يكون الفرد مزودا وغنيا بأسباب الحياة الاقتصادية مما يجعله محطة للطمع خاصة عندما تغيب السلطة ومنها تنشئ الحروب.

وهكذا ضمنت أحوال البادية الاجتماعية والاقتصادية الاستمرار في هذه الحروب التي لا يمكن أن تنتهي ما دامت هناك حياة على الرغم من وجود أناس يريدون البقاء وليست هذه الأسباب جميعها وإنما هناك أسباب أخرى كالنهضة لحماية الجار والعصبية القبيلة والنفرة من العار، والاعتزاز بالقرابة الواشجة والمفاخرة والمناظرة والإباء[3]. إضافة إلى تلك الأسباب الاجتماعية والاقتصادية هناك أسباب أخرى أشعلت الحروب.

---

[1] ابتسام نايف صالح أبو الرب: صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، ص30.

[2] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ إحسان عباس، قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الأمريكية ، بيروت، لبنان، 1985، ص20.

[3] الخفاجي محمد عبد المنعم: الشعر الجاهلي، ص90، 92.

ثالثا: أنواع الحرب:

لقد حفلت حياة العرب بالحروب والصراعات من أجل البقاء، والتي دلت في مجملها على طابع تلك الحياة القتالية، وقد اتخذ العربي لنفسه أساليب وأنواعا متعددة في تلك الحروب.

أ- الحرب الباردة:

"هي الحرب النفسية، وهي حرب أفكار تهدف للحصول على عقول الرجال وإخضاع إرادتهم، فهي حرب إيديولوجية عقائدية، هي حرب أعصاب حرب سياسية، حرب دعاية حرب كلمات وإشاعات، حرب تزلزل العقول وتغير السلوك"[1]. تعتبر الحرب الباردة أضمن سلاح تستخدمه الدول التي تستهدف بها التأثير على أراء ومواقف وسلوك الجماعات العدائية أو المحايدة أو الصديقة بطريقة تعين على تحقيق أهدافها القومية.

لقد جاء في معجم الوسيط أن الحرب الباردة هي" أن يكيد كل من الطرفين المتعاديين لخصمه دون أن يؤدي ذلك إلى حرب سافرة"[2]. تعتبر الحرب الباردة أيضا حربا لها قواعد تشبه الحرب كوجود طرفين لكن دون استعمال السلاح فهي إطاحة الخصم بطريقة سلمية.

الحرب الباردة هي حرب دعاية يقصد بها العدو الكف عن المقاومة وإقناعه بأن الخير كل الخير في الاستسلام والتسليم فهي بذلك ما يطلق عليه اسم الحرب السياسية[3]. أي المقصود هنا استعمال أسلوب الإقناع بالتخلي عن المقاومة دون اللجوء إلى استعمال السلاح، أي مجرد أفكار.

الحرب الباردة أو النفسية "هي الاستخدام العلمي المنظم والمخطط للدعاية القوية بشتى الوسائل من الإذاعات والنشرات والصور والمخالفات العسكرية والمناورات، وعقد المؤتمرات

---

[1] عبد الرحمن عميرة: الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الاسلام، ص216.

[2] مجموعة من اللغويون: معجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، ص190.

[3] صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة ومعتقد، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1966، ص93،95.

وإرسال الشائعات وغيرها من الوسائل التي تستهدف قبل كل شيء التأثير على أفكاره وآراء وعواطف ومواقف وسلوك الشعوب والدول المعادية من أجل تحقيق السياسية العسكرية والقومية للدولة[1].الحرب الباردة تعتمد على تكتيك محكم وحيل بهدف التأثير دون استعمال القوة فهي تضرب العقول والعواطف لا الأجسام.

الحرب السياسية (أي الباردة) هي زعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه وذلك عن طريق إثبات استحالة تحقيق هذه المبادئ أو الأهداف، حيث تضخم تصوير الأخطاء التي تقع عند محاولة تحقيق هذه المبادئ والأهداف[2].تهدف الحرب السياسية بالدرجة الأولى إلى هدم كيان العدو ذلك في عدم تقبل مبادئه وأهدافه.

"تعتبر الحرب الباردة أو النفسية جزءا من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب وفي أثنائها وفي أعقابها"[3]. فالحرب الباردة (النفسية) هي الطريق المباشر للحرب فهي الممهد لها فهي لا تخضع لقانون أو عادات الحرب أو نظام المعركة الشيء الذي جعلنا تأخذ مكانة مهمة في الصراعات والنزاعات.

ولقد عرف العرب الحرب الباردة في صراعاتهم، حيث كانوا يتظاهرون بأن عددهم أقوى وأكثر من عدد خصومهم بتوسيع رقعة معسكرهم وإبقاء النيران الكثيرة وإحداث أصوات مرتفعة[4]. فهم بهذا يدخلون الخوف في نفوس خصومهم مما يجعلهم أكثر ارتباكا وتشويشا مما يؤدي بهم إلى الهزيمة حيث أستخدم العرب الكثير من الأساليب منها المباغتة والخدع والتكتم والتستر على الأمور واستخدام العيون للتجسس.

---

[1] عبد الرحمن عميرة: الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، ص215.

[2] المرجع نفسه، ص219.

[3] المرجع نفسه، ص217.

[4] جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، نشر جامعة بغداد، العراق، ج5، ط2، 1995، ص438.

ب- الحرب بالسلاح:

هي عقيدة عسكرية ذات طابع دفاعي وهجومي بحت واستخدام للقوة المسلحة والعتاد الحربي وكل الأساليب البعيدة كل البعد عن الإنسانية مستهدفة للقضاء على كل من يخالفهم[1]. فكلمة عسكرية تستوجب وجود جيش وسلاح متأهب في كل الأوقات لعملية الدفاع والهجوم بعيدا عن الهدنة والسلم.

فهي أوسع أحداث التدمير لكل ماله قيمة إنسانية وإلحاق الهزيمة بالأعداء وإعلان انحطاط أصول الخصوم وتبيان زعامة الأجناس البشرية التي أدت إلى كثرة الصراعات والخراب والدمار بفضل قوتها الإبداعية في السيطرة على الطبيعة[2]. فهي ترتبط بالدمار مادي ومعنوي وشكل من أشكال القوة والسلطة والهيمنة.

هي حرب إقبال على المعارك باستخدام السلاح وبكل شجاعة وجرأة وإقبال على التضحية بالنفس، والفداء في المعركة مع عدم الرفق بالضعفاء، فهي دعوة إلى الفوضى والعنف والصراع والإخلال بالنظام، فهي حرب جسدية أكثر منها عقلية[3]. فهي تحتاج إلى شخصية قتالية صارمة.

ارتبطت الحرب بفكرة القتل والدمار وهلاك الأقوام وتشريدهم، فهي خيار قاس يلجأ إليه العربي دفاعا عن الظلم الذي يواجهه[4]. فهي صورة الدمار والهلاك، ورغم ذلك تبقى مبررًا للدفاع عن الأنفس والأقوام.

---

[1] صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، ص229.

[2] سيغموند فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت، تر، عبد المنعم الحنفي، دار راشد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص13، 15

[3] صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، ص230، 232.

[4] كامل عبد ربه حمدان: الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج6، العدد3، 4، 2007، ص11.

إذ تعد إظهارا للتطور الهائل في استخدام الأسلحة في الهجوم والدفاع وإظهار قوتها العنيفة والعنيدة والحقودة والمريرة، فهي لا تميز بين العسكريين والمدنيين وبين النساء والرجال والأطفال إذ تدوس على كل الحقوق الإنسانية وتهتك كل الأوصال وتمزق كل الروابط بين الشعوب المتناحرة، وتهدد بأن تخلف ورائها ميراثا من الحقد والمرارة[1]. فالحرب الناجحة تعتمد على الأسلحة المتطورة، وأنها لا تفرق بين الأجناس البشرية هدفها الأسمى زعزعة الكيان الاجتماعي.

فالحرب مواجهة الإنسان للموت وإجباره على الاعتراف والإقرار بها لأن الناس في الحروب لا يموتون بالآحاد بل بالعشرات في الوقت الواحد بل بعشرات الآلاف في اليوم الواحد[2]. الحرب والموت وجهان لعملة واحدة، فهي هلاك جماعي ولا موت للفرد وحده.

رابعا: عدة الحرب:

لقد اهتم العربي بسلاحه ليدافع به ضد شبح الموت الذي يظل عليه مع كل غارة، وفي كل ساحة حرب، ويعني سيفه ورمحه ودرعه وقوسه وترسه امتدادا لضربة يده، لذا حرص عليهم وأولاهم كل عنايته واهتمامه.

أ- السيف:

"هو السلاح الأول الذي كان يحرص كل عربي على حمله واستعماله والأسلحة الأخرى تعتبر إضافية بالنسبة إليه، أو مدخرة للظروف، حيث أن الأسلحة الأخرى غير السيف مجالها القتال، أما السيف فملازم للفرد دائما سواء في الحرب أو السلم وقد تحدث شعر الصعاليك عن السيف بإفاضة وتفنن"[3]. إن من أهم الأسلحة الدفاعية التي كانت مرافقة

---

[1] سيغموند فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د، ط)،1987، ص 209.

للصعلوك عند كل رحلة أو كل غارة السيف نظرا لسهولة حمله وصلابته وسلاسته وقوة وقعه على الأعداء فيبقى السيف ذلك الصديق الملازم الوفي لصاحبه الذي يكون حاضرا معه في كل مكان وزمان.

"فهو أداة حربية تدل على بطولة حاملة وقوته، ولقد نوع الشعراء في أسمائه وصفاته فمنها ما يتعلق بالحدة والمضاد كالحسام والباتر والغاصب، ومنها ما يتعلق بالصلابة والصفاء المعدن فكان الأبيض والمصقول، ومنها ما يتعلق بمكان الصنع، فكان اليماني والخزرجي وتداخلت هذه الأسماء والصفات، وذكر جميعها للدلالة على قوة السلاح ومضائه وفتكه"[1]. فهذه كل الصفات والمميزات التي يتحلى بها السيف مما يؤهله ليكون ذلك الحصن المنيع الذي يعتمد عليه العربي في حياته.

" ولقد امتازت السيوف على اختلاف أنواعها، مع ما وصفت به من مضاء القطع وخفة السل وغير ذلك، بجوهرها الذي هو وشيها وحليتها، والجوهر هو عبارة عن تلك التموجات التي تظهر على صفحتي السيف، والتي شبهها بعض الشعراء بالآثار التي يتركها النمل أو الجراد أثناء سيرها، ولقد أطلق العرب على الجوهر أسماء عديدة منها: الأثر والفرند والسفسقة والحصير"[2]. إلى جانب تلك الصفات المادية للسيف إلى أن الصفات المعنوية له هي التي تزيده من حليته وجماله.

"وقد حظي متن السيف بأوصاف كثيرة في شعر الصعاليك، تنعته أحيانا بالحدة والشحذ وأحيانا بالرقة التي تدل على المضاء والنفاذ، وأحيانا بالصلابة والمنانة، وأحيانا بالطول مع مصاحبة ذلك لأوصاف أخرى، وتشبيهات له، أو نسبة إلى صانع أو بلد، أو غير ذلك من

[1] صلوح بنت صالح بنت سعيد السريحي: الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذ أحمد سيد محمد، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1998، ص83.

[2] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص32.

الأوصاف"[1]. على الرغم من كل الصفات التي يوصف بها السيف إلا أنه يأخذ صفات أخرى من صانعه أو مكان صنعه.

" كما كانوا يرسمون على سيوفهم صور الحبات والأسماك، لذا كان منها ما يسمى بذي الحيات وذي النون، وكانوا يستخدمون الكتابة على السيوف وهي طريقة أخرى للتحلية"[2]. ومن الصفات التي يتحلى بها السيف أيضا وجود رموز عليه.

السيف أداة ردع ووسيلة لأخذ الثأر والانتقام من الأعداء فتنقطع به الأجسام وتنزف من ضربته الدماء وتتبعثر به الأشلاء في الصحراء[3]. فالغاية من استعمال السيف هي القتل وسفك الدماء.

ب- القوس والسهم:

القوس مرتبطة بالسهم لأنها الأداة التي يرمي بها واهتمامهم بالسهم ينعكس على القوس أيضا ونجد الحديث عن السهم مرتبط غالبا بالحديث عن القوس، وهذا الأخير له معنيين أحدهما اللون والآخر الصوت الذي تحدثه القوس حين ينطلق عنها السهم[4]. إن أهمية القوس لا تخرج عن أهمية السهم فهي من الأسلحة التي يستعملها العربي في حروبه وإغارته.

"وكانت القوس ذات أهمية خاصة في الصيد، كما كانت تفتح بها المعركة الحربية بسبب المسافة الواقعة بين الفئتين المتحاربتين"[5]. تستعمل القوس في حالة وجود مسافة كبيرة بين الطرفين.

إن القوس من ألزم الأسلحة، فالصعلوك بحاجة إلى سلاح بعيد المدى بحيث لا يضطره إلى الاصطدام المباشر مع أعدائه بالإضافة إلى حاجته الأساسية للقوس في الصيد، فهو

---

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص212.

[2] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص33.

[3] صلوح بنت صالح بنت سعيد السريحي: الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، ص34.

[4] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص219.

[5] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص29.

مرتبط في خيالهم بالدفاع عن النفس ضد أشد المخاطر التي يتخيلونها فهو مرتبط بصراعهم[1]. والهدف الأساسي من استعمال السهم تجنب الصراع المباشر وجها لوجه مع العدو.

ج- الرمح:

من الأسلحة التي يغلب استعمالها في الحروب ولذلك لم يكن حديثهم عنه مستفيضا ولا مطبوعا بالاهتمام، ولكن الرمح ليس مقصورا على الحروب بل يستعمل في الصيد، والصيد من الحاجات الضرورية لطعام الصعاليك ومعاشهم[2]. بالإضافة إلى مجالات استعمال الرمح في القتال إلا أنه يستعمل لجلب القوت والطعام.

فللرمح أطوال مختلفة تتراوح بين أربع أدرع والخمس والعشر وما فوقها، وأكثر ما كان العربي يطلبه في رمحه أن يكون غازيا، لدن مهزته صلب الأنابيب أو الكهوب – وهي عقدة القناة–مطردها بحيث إذا هززته اهتز كله وكأن كعوبه كعب واحد[3]. يتميز الرمح بالطول الذي يجعله أداة قتالية تستعمل في المعارك الكبرى.

ومن أنواع الرماح الخطية (وواحدها الخطي) نسبه إلى الخط وهو عرفا للسفن بالبحرين، وقيل موضع باليمامة، وهو خط هجر، والردينية (الردينيات، الرذينية) وقيل فيها أنها نسبة إلى ردينة امرأة السمهري[4].وقد أخذت الرماح أسماء سميت بها نسبة إلى صناعها وبهذا أصبحت تلك المسميات أنواعا للرماح.

د- الدرع:

ومن أسلحة الحروب أو من وسائل الوقاية في الحروب الدرع ولكن الصعاليك يهتمون

---

[1] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص218.

[2] المرجع نفسه، ص221.

[3] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص36.

[4] المرجع نفسه، ص36، 37.

بحياتهم الخاصة في الصعلكة دون الحروب، لم يهتموا بالدرع، بل لم تكن بهم حاجة إليها بل أن في حملها مثقلة لهم تفسد عليهم حياتهم في الصعلكة التي تحتاج دائما إلى خفة الحركة وسرعة العدو[1]. لم يتحدث الشعراء الصعاليك عن الدروع إلا الذين عاشوا فترات مع أقوامهم على أنهم من فرسانهم.

إن أكثر ما كان يفتخر به في الدرع أن تكون فضفاضة صابغة تفضل عن لابسها حتى تدفع على الأنامل فتحمي أطرافه من القطع أو الجرح المباشر[2]. إن الدرع وسيلة لحماية الأجسام من السيوف الحادة أو الرماح التي تسبب الأذى للمحارب.

وقد كانوا أيضا يفضلون الدرع المضاعفة الموضونة التي قد نسجت حلقتين لزيادة متنها وقوتها مع حرصهم على إبقائها ناعمة مالسة تصبح عند الطي كالمبرد[3]. فقد كان المحارب يلبس درعا فوق درع أخرى لتحصين نفسه.

"والدروع أنواع منها: التبعية نسبة إلى تبع أحد الملوك اليمن، والحطمية نسبة إلى حطمة بن محارب بن عبد القيس وكان صانع دروع، والسلمية نسبة إلى سليمان بن داوود والسلوقية نسبة إلى مكان تنسب إليه الدروع والكلاب يدعى سلوق، وهو أرض باليمن، والصولية نسبة إلى صول والعادية نسبة إلى زمن عاد، والفارسية نسبة إلى بلاد فارس واليمانية نسبة إلى بلاد اليمن وهناك دروع أخرى"[4]. قد ارتبطت أنواع الدروع بأسماء الأماكن والبعض الآخر بأسماء الأشخاص.

---

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص223.

[2] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص34.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص35.

ه- الترس:

"أخف حملا من الدرع ولذلك فهو أنسب للصعاليك حتى لا يثقل حركتهم ولا يعوقهم عن العدو، فإن لم يكن من بد (...) فالترس أنسب لهم من غيره، ومن أجل هذا نجد حديثهم عنه أكثر وأحظى بالاهتمام من الدرع"[1]. لقد اتخذه الصعاليك وسيلة لهم بسبب تلك الحياة التي يعيشونها التي تستدعي منهم الخفة وسرعة العدو.

"اتخذ العرب تروسهم –على الأغلب–من الجلد، فكان " طراق الترس أن يقور الجلد على مقداره فليلزق به، وأطلقوا عليها اسم الحجف وواحدتها حجفة والدرق وواحدتها درقة"[2]. وهذه من أهم المواد التي صنع منها الترس.

والتروس أصناف" كل صنف منها يصلح لشيء، فمنها المسطح والمستطيل المحفر الوسط، ومنها المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج وهذا النوع لا يتقى به من الرمح لأنه متى طعن تثبت الرمح فيه وصرع صاحبه، وإنما يتقى به من النشاب والحجارة والسيف والمستطيل يتقى به من النشاب لأنه يستر رأس الفارس وطوله، يقيه لأنه ينظر بإحدى عينيه من التحضير ولا يكشف رأسه، والمسطح يتقى به من الرمح"[3]. هذه هي أكثر أنواع التروس المستعملة وكل له خاصيته والوقت الذي يستعمله فيه.

خامسا: عادات الحرب:

إن طبيعة النفس البشرية حب البقاء والسيطرة فقد لجأ الإنسان لتحقيق هذه الرغبة إلى أساليب في الحياة منها الحرب التي تضمن له ذلك، وكان يمارس عادات في تلك الحروب.

كان الجاهليون لا يقتتلون في الأشهر الحرم، بسبب قدسيتها، ولشدة ولعهم بالحروب ولأنها تجري في دمائهم، بحيث لا يستطيعون التنصل منها، تجاوزوا حرمة هذه الأشهر

---

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص224.

[2] ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، ص35.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وسميت هذه الحروب بأيام الفجار، لأن فيها خروج عن الشريعة المتعارف عليها بينهم ولأن من اشترك فيها كان قد فجر فيها بانتهاكه قدسية هذه الأشر الحرم[1]. وهذه الأشهر كانت بمثابة استراحة أو هدنة تأخذها القبائل، ويكون فيها الجاهلي آمنا على نفسه وماله وعياله.

"كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا أوقدوا النار ليلا على جبل لتجتمع إليهم عشائرهم، فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين، فإشعال النار إنذار بالحرب التي ستجر الويلات كما تجر النار الويل والدمار والخراب"[2]. فقد كانت النار دليل على طلب اجتماع العشائر للاستعداد للحرب.

عرف الجاهليون الراية وكان لها أهمية كبيرة في معاركهم وحروبهم، فالراية تمثل القبيلة وتراق الدماء من أجلها ويستميت الرجال في الدفاع عنها، فسقوطها على الأرض أو في يد العدو معناه هزيمة أصحابها وعجزهم عن القتال، وخور عزيمة المقاتلين عن القتال في النهاية، وتلك إمارات بالهزيمة والفرار[3]. إن مسؤولية حامل الراية في المعركة أكثر من واجب وطني إذ يبقى متمسكا بها حتى آخر أنفاسه وسقوطها يعني الهزيمة.

ومن هذه الأمور أيضا استخدام التراب والرمل للدلالة على كثرة العدو، واستعمال الشوك دلالة على القوة[4]. وهذه أيضا من أهم العادات التي كان يستخدمها الجاهلي أيام حروبه.

كما أن جعل أعلى الرمح أسفله دليل على الهزيمة والانكسار[5]. إذ أنه مع وجود هذه الحالة فهذا يعني خسارة المعركة.

---

[1] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج6، ص102.

[2] عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1979، ص 152.

[3] جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص435.

[4] المرجع نفسه، ص 437.

[5] جاد المولى: أيام الحرب في الجاهلية، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1988، ص 96.

كان من عاداتهم في الحروب ما يسمى بحلوان النفر، فالعرب لم يكن تملك عليها في جاهلية أحدا، وعند الحرب أقرع بني أهل الرياسة، فمن خرجت عليه القرعة أحضروا صغيرا أو كبيرا فلما كان يوم الفجار أقرع بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المجلس[1]. وهذا شكل من أشكال الاحتفال بالنصر، أي الاقتراع من أجل الجلوس على كرسي المجلس.

ومن عاداتهم التي يستخدمونها في التحذير من خطر ما أو غارة أو معركة فإنهم يخلعون ملابسهم أو يتجردون منها إن أرادوا إبلاغ قومهم بغارة لم يكونوا على استعداد لها وسمي من يقوم بهذا النذير العريان[2]. فهذه رموز ودلالات يقومون بها عوضا عن الحديث والكلام فإذا رأت العرب هذه الحالة عرفوا ما قد يحدث.

وللنسوة في الحروب دور إذ رأين الحرب أو شكت أن تدور على قبيلتهن حسرن البراقع وكشفن الشعور، وبرزن في المعمعة يتشرن حمية الرجال، ويدفعونهم إلى الدفاع عنهن وحمايتهن من السبي وهوانه[3]. فالعربي يتحمل كل شيء إلا عرضه وحرمته فهو كالأسد الكاسر كل لذته افتراس أعدائه الذين داسوا مدارج عزه وشرفه.

ومن تقاليد الثأر وعاداته جز ناصية الفرس وهلب ذنبها حيث اتخذهما العرب سنة وإذا قتل لأحدهم عزيز وأراد أن يطالب بثأره يثأر بفرسه[4]. إذ تعتبر الفرس صورة عاكسة لصاحبها، ويأخذ الثأر منها يعني أخذ الثأر من صاحبها.

"وإذا استأسر المنهزم وكان رجل له مكانته في قومه اكتفوا بجز ناصيته علامة الهزيمة والاستسلام وأخلو سبيله على أن يكرمهم فيما بعد، ولكنهم لا يفعلون ذلك دائما (...) ومن المتعارف عليه أن الأسير ملك آسره وله الحق في الفدية، فإذا ما رغبت القبيلة في قتله لثأر

---

[1] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص 315.

[2] جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص437.

[3] القيسي نوري حمودي: الفروسية في الشعر الجاهلي، ص64.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص536.

سابق أو إطلاق سراحه إكراما له فلابد من ترضية آسره"[1]. لقد كانوا يحافظون على حياة الأسير لأكثر من سبب أهمها حرصهم على الفدية وخوفهم من الوقوع في قبضة الأسر من قبل أعدائهم، فالحياة كرٌّ وفرٌّ.

"كانت العرب تحرم الخمر على أنفسهم في مدة طلبهم لثأر لأنها مشغلة لهم عن كريم الأخلاق والإقبال على الشهوة"[2]. أي أن من مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم لما تسببه من سهو وانشغال عن الهدف الذي يسعون إلى تحقيقه.

"وكان من مذهبهم الأول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذرا من معرّة البيات والهجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس في الظلمة سترا من عاره"[3]. فهم يستعملون الخنادق كوسيلة للجوء إليها في الظلمات ووسيلة يعتمدون عليها في الحرب.

وإذا نظرنا إلى عاداتهم في الحروب وجدناها كثيرة ومنها اصطحاب الأصنام في الحروب تيمنا بالنصر بها فهي تمدهم القوة والهزيمة، فقد كان العرب يحملون صورة العزى في غزواتهم كالاه للحرب[4]. فهم يربطون نصرهم بآلهتهم ويتباركون بها فهي تمدهم القوة والشجاعة.

سادسا: آثار الحرب:

قيل أينما حلت الحرب حل الخراب، فلا يسلم منها شجر ولا حجر ولا نبات أو حيوان فالحرب كالموت لا يرحل حتى يحمل معه كل شيء، فهي تخلف آثارا جمة.

---

[1] عبد الرحمان عفيف: الشعر الجاهلي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص62، 63.

[2] محمود شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط)، (د، ت)، ص61.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] مخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص117.

لقد أصبحت حياة العرب تقوم على سفك الدماء حتى أنها أصبحت سنة من سننهم فهم دائما قاتلون أو مقتلون لا يفرعون من دم إلا إلى دم آخر لذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر، وقد كانوا لا يقبلون الدية والمغارم إلا بعد أن تأتي الحرب على الحرث والنسل[1]. إن أهم ما كانت تقوم عليه حياة العرب الحرب فهم لا يستطيعون البقاء دون سفك الدماء، والدم وحده يشفي غليلهم.

فالحرب تبدأ صغيرة ضعيفة ثم تقوى وتستحكم وتعظم مع مرور الزمن (...) لا يفلت منها راغب فيها ولا كاره فالجميع يصطدم بنارها بل يترامون فيها ترامي الفراش[2]. فالحرب إذا انطلقت لا مجال للرجعة فيها خاصة إذا كانت بسبب الثأر فكل طرف يسعى لتحقيق مطلبه فهو يعتبرها واجب يجب تلبيته ودم الميت يبقى في أعناقهم حتى يحين الثأر.

فالحرب تبتلع كل حي يحوم في محيطها وهي في النهاية تضيء في جانب عندما يتحقق النصر، ولكنها تقسو عندما تأتي على رجال القوم، فهي فضاء ينضج بأنواع التدمير والخراب، فالحرب مستكرهة ولذلك غيبت[3]. فالحرب تنحو منحى النار تأتي على الأخضر واليابس وهي تضيء وتدمر في آن واحد، ويمكن تمثيل هذه الرؤية بهذا الشكل البياني:

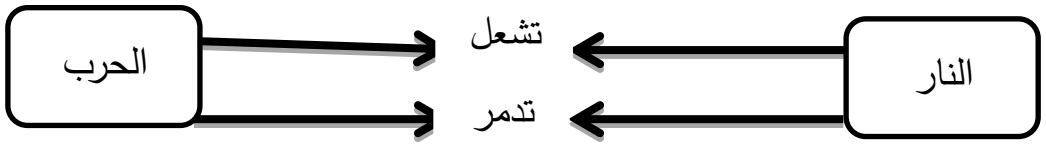

فالحرب تؤدي إلى إحداث خلل في الديموغرافية السكانية لقبيلة أو منطقة أي اختلال في التوازن السكاني تعقبه آثار اجتماعية مريرة حيث تتلون الإبادة السكانية من عصر إلى عصر، ومن نظام إلى آخر، فالشباب وقود الحرب، والشيوخ والكهول يسحقون

[1] شوقي ضيق: تاريخ الأدب العربي الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 24، 1119، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص64.

[3] سعيد عكاشة: سيمائية الحرب في الشعر الهذلي، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، تح، بوخاتم موالي علي، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد3، 2014،2015، ص65، 66.

والنسوة والإناث يسبين ويغدين تائهات، فالحرب لها مساهمة فعالة في القتل والتشريد والإعاقة وأسر الملايين من البشر من كل ما دمرت وأحرقت وبددت من موارد وأسلحة على امتداد التاريخ.

"فالحرب تموج وفي ظهورها رداءة لقبح ما ينتج عنها من صور الدمار والمآسي وغش لا نخادع أطراف النزاع بأي نتيجة، فالمنهزم مصاب بالإحباط والفائز مخدوع وإن فاز فالفوز مبني على الدمار"[1]. فالحرب تشبه موج البحر لما فيه من تلاطم وحركة واضطراب ولما يخفي من قلل وأخطار فالحرب ذات طابع متوتر وهي تؤكد سطوها وهيمنتها وتأثيرها ليس فقط على الإنسان وإنما على الأحياء كلهم.

فالحرب تؤدي إلى تعبئة الذات بالكره والحقد لمن ألحقوا بها المهانة والأذى والذل فتتحول هذه المشاعر إلى دوافع عدوانية اتجاههم تتجسد في الانخراط في المواجهات العنيفة والدامية، فهذه المشاعر الغاضبة والمحبطة والراغبة في الانتقام تؤدي إلى مستويات عالية من المقاومة للوقوف في وجه العدو، فإن الحرب أعظم ظاهرة تاريخية واجتماعية تؤدي إلى إنجاب التاريخ برمته على الرغم من أنها وسيلة للتدمير فهي صورة من صور الحركة والفاعلية.

سابعا: علاقة الحرب بالصعلكة:

رأى أقوياء الصعاليك الفقراء الذين عانوا من عقدة الفقر التي تدفع صاحبها لمحاولة التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل، أن حل معضلتهم المالية يكون عبر رحلة المغامرة الباحثة عن الغنى الكريم، فاتخذوا من السلب والنهب وسيلة لغايتهم، فالجاهليون كانوا يؤمنون بمبدأ القوة ويقترحون بشرعية الاستلاء على شيء عنوة ولا يعد ذلك نقصا عندهم ولا سرقة، لأن السالب قد استعمل حق القوة فأخذ بيده من صاحب المال المسلوب

[1] سعيد عكاشة: سيمائية الحرب في الشعر الهذلي، ص66.

فليس في عمله جبن ولا غدر ولا خيانة ولذلك فرقوا بين لفظة سرق ولفظة حرب التي تعني أخذ مال الغير من غير تستر ولا تحايل.

"فالواقع أن ظاهرة التصعلك مزدوجة الوجه: الرحلة هي الغنى والرحلة هي المشقة والموت، والغنى لا يتم بمجرد الانتقال، إنما يكون عن طريق الغزو والأخذ بالقوة، لذا فخر البدويُّ بهجماته وغزواته وكثرة أسلابه"[1]. إن الصعلوك إذا سعى إلى الغنى وأراد المال يطلبه عند الآخرين الذين يملكونه بأخذه منهم عطاء كريما، أو يستولي عليه غصبا، يغزو، يغير يسلب، ينهب ويعود غنيا ليعيش حياته الطبيعية.

"إن أولئك الصعاليك الذين خلعتهم قبائلهم، أو خلعوا أنفسهم منها، فكما يشاركون غيرهم من الصعاليك في غزوهم أولئك الأغنياء يحرصون إلى جانب ذلك على الانتقاء من أولئك الذين كانوا سببا في صعلكتهم"[2]. ويتحدث الشعراء الصعاليك أيضا عن الغاية التي يريدون أن يصلوا إليها من وراء هذه الخطة الدامية التي يسلكونها في حياتهم الانتقام لما حدث لهم إلى جانب البحث عن الغنى.

"إن مفهوم الثأر يتعدى إلى مفهوم تغيير النظام الذي يقوم بارتكاب مثل هذا القتل، الحق أن الموت بالأثر الذي يتركه يوضح الفرق بين الإنسان العادي "المدجن" الذي يركن إلى الحزن وبين المغامر المتمرد الذي يعيش القهر حتى يتنفس بانتقام فردي يأخذ شكل الثأر وبين المناضل من أجل مذهب عام شامل الذي يسعى من أجل إقامة النظام الذي يريد دون أن يعبأ بالموت، أو أن الموت في كثير من الأحيان يصبح غرض الحياة"[3]. ومن أهم الأسباب التي أدت بالصعاليك اللجوء إلى الحرب واتباع نظام القتل هي الثورة على النظام وطلب التغيير.

---

[1] عروة بن الورد: الديوان، شرح سعيدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1962، ص19، 20.

[2] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص241.

[3] عبد المجيد زراقط: الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1983، ص379.

"إن خروج الصعاليك عن نظامهم القبلي هو ثورة اقتصادية على النظام لأنهم جماعة فقراء من قبائلهم شتى جمعت بينهم الخصاصة والحاجة وإعوازهم من المال وهو عند غيرهم فخرجوا على قبائلهم وتحللوا من نظامها وأنكرهم قومهم، وأخدوا أنفسهم بالإغارة والنهب وسلب القبائل وأفراد المال ثم توزيعها فيما بينهم"[1]. إن انسلاخ الصعاليك عن مجتمعهم وتفردهم في الصحراء للغزو والسلب إلا خروج عن الانتماء الذي يلزمهم الالتصاق بحياة القبيلة والانقياد لأوضاعها وأعرافها، فإن التمايز الاجتماعي فقد بلغ من تأثيره على الفئات المستضعفة حدا يدفع بعضها إلى تفكيك علاقاتها بالقبيلة وهذا يدل على الانحلال والتفكك الذي يتسرب إلى نظام القبلية جاعلا إياها تنقاد إلى الحروب.

ويتحدث الشعراء الصعاليك أيضا عن الأهداف التي يقصدونها بغزواتهم فيحددون تلك الطوائف من مجتمعهم التي يريدون أن يوجهوا إليها رؤوس أسلحتهم ومن الطبيعي أن تكون طبقة الأغنياء أكثر طبقات مجتمعهم تعرضا لغزواتهم، لأنها الهدف الدسم الذي يسيل له لعابهم، وهذه الطبقات أصحاب المواشي، أصحاب المزارع الخصبة وأصحاب النوق الحوامل[2]. فطبيعة الإغارة لدى الصعاليك تكون محددة الهدف، فهم لا يقصدون الطبقات الضعيفة أو المتوسطة إنما يلجؤون لأصحاب المال والنفود من أجل الحصول على غنيمة وافرة تفي بالغرض.

إن الحرب هي جزء من الصعلكة وهي الحالة الطبيعة للصراع من أجل البقاء، والإنسان جزء لا يتجزأ من هذه الطبيعة منذ وجد في تكوينه على وجه الأرض، وقلما يبقى السلم سائدا بين البشر، إذ أن تناقض المصالح بين الأفراد والمجتمعات يقودهما إلى الصدام، ومن ثم المواجهة والصراع لكي يسود الأقوى دوما، وتنوع الحروب ليست في أشكالها وتواريخها وأزماتها فقط بل هي مضامينها وفنونها وأسبابها ونتائجها وأعتقد أنه ليس من السهولة على

[1] أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1976، ص39.
[2] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص240.

الإنسان أن يتخلص نهائيا من ظاهرة الحرب كي يسود السلام ربوع الأرض ما دامت هناك تمايزت متنوعة ومختلفة بين المجتمعات.

الفصل الثاني:

شعر الصعلكة في العصر الجاهلي

أولا: تعريف الصعلكة.

ثانيا: أسباب الصعلكة.

ثالثا: أنواع الصعلكة.

رابعا: طوائف الصعاليك.

خامسا: الصعلكة وألفاظ أخرى.

سادسا: موضوعات الصعلكة.

سابعا: الخصائص الفنية لشعر الصعاليك.

أولا: تعريف الصعلكة:

الصعاليك في عرف التاريخ الأدبي هم جماعة من مخالفين العرب الخارجين عن طاعة رؤساء قبائلهم ... وقد تطورت دلالة هذا المصطلح بحيث أصبح يدل على طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتهنون السلب والنهب، والصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية كرد فعل لبعض العادات والممارسات، واستمرت الصعلكة ردحا من الزمن فقد عاش الصعاليك خارج قبائلهم وقطعوا كل أمل بالعدالة الاجتماعية، قطعوا كل صلة مع أهلهم وقبيلتهم، وآمنوا بأنهم ظُلموا في بلاد تسودها القسوة والظلم فحقدوا على القبيلة وأفرادها وعلى أصحاب الثروة والمال، فملأوا الصحاري رعبا وهولا، ورفعوا علم الصعلكة عاليا.

أ- الصعلكة في اللغة:

جاء في لسان العرب: "الفَقِيرُ الذي لا مال له، زَادَ الأَزْهَرِي: وَلاَ اعْتِمَادَ وَقَدْ تَصَعْلَكَتِ الرَجُلُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وتَصَعْلَكَتِ الإِبِلُ: خَرَّجَتْ أَوْبَارَهَا وَانْجَرَدَتْ وَطَرَحَتْهَا، وَرَجُل مُصَعْلَكُ الرَأْسِ مُدَوِرُهُ، وَالتَصَعْلُكُ: الفُقْر، وَالصَعَالِيكْ العَرَبُ: ذُؤبانُها، وَكَانَ عُرْوَة بْنُ الوَرْد يُسَمَى عُرْوَة الصَعَالِيكْ لِأَنَهُ كَانَ يَجْمَعُ الفُقَرَاء فَيَرْزِقُهُمْ مِمَا يغنمه"[1]. إن المعنى الأصلي للصعلكة هو الفقر، وإن استعمالاتها تدور حول التجرد الذي هو معنى الفقر أو أثر من آثاره، فقد ذكر ابن منظور المعنى العرفي لها بقوله: وزاد الأزهري ولا اعتماد يعبر عن المعنى الدقيق في مفهوم الصعلكة بالمعنى المعروف لها ألا هو الفقر، ومن أهم دوافعها قال: " ابن سيده" (ت 458) في المحكم والمحيط الأعظم:" والصُعْلُوكْ: الذِي لاَ مَالَ لَهُ، وَقَدْ تَصَعْلَكَ". "وتَصَعْلَكَتِ الإِبِلُ: خَرَّجَتْ أَوْبَارَهَا وَانْجَرَدَتْ، وَرَجُلٌ مُصَعْلَكُ الرَأْسِ مُدَوِرُهُ، وَصَعْلَكَ

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج4، ج27، ص 2451،2452.

الثرِيدَةَ: جَعَلَ لَهَا رَأْساً، وَقِيلَ: رَفَعَ رَأْسَهَا"[1]. وفي هذا نرى أن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إما بمدلوله المباشر وهو التجرد، لأن الفقر في الإنسان وهو التجرد من الغنى وتصعلك الإبل هو تجردها من أوبارها، وكذلك فإن صعلكة الثريدة تجريدها من الضخامة كأن يضمر أعلاها.

"وإما بآثارها كالضمور والهزال، مثل تصعلك الأسنمة باستدارتها وضمورها بالنسبة للأسنمة الأخرى المنبعجة والضخمة ... ويمكن إذن رد كل هذه الاستعمالات إلى معنى الفقر وآثاره من ضمور وهزال ونحو ذلك"[2]. إن الصعلكة مهما ارتبطت بألفاظ أخرى فأنها تؤدي إلى معنى واحد ألا وهو الفقر.

فمن خلال هذا يتبين لنا أن ابن سيده متفق تماما مع ابن منظور حول معنى الفقر والتجرد: ألا إنه زاد عليه بقوله" وصعاليك العرب ذؤبانها" فعند العودة إلى مادة ذأب في الصحاح،" والذؤبان العرب أيضا صعاليكها الذين يتلصصون"[3]. وتبعا لذلك فكلمة ذؤبان تحيلنا إلى وظيفة اجتماعية أي أنه جعل لكلمة صعاليك معنى اجتماعي عندما قارنها بوصف الذؤبان فليس الصعلوك هو ذلك الفقير فحسب إنما له معنى آخر وهو اللص.

"ففي لسان العرب يُقَالُ لِصَعَالِيكِ العَرَبْ وَلُصُوصِهَا ذُؤْبَانُ لِأَنَهُمْ كَالذِئَابِ وَالذُؤْبَانُ العَرَبِ لُصُوصُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ الذِينَ يَتَلَصَصُوَن وَيَتَصَعْلَكُونَ"[4]. وعليه فإن جل المعاجم تتفق على أن الصعلكة مرض عضال يؤدي إلى هزل وضمور صاحبه وانحطاط مكانته الاجتماعية وهوان أمره، فالصعلوك لم يرض بهذا القدر ولم تصبر نفسه على هذه الحياة فقرر خوض

---

[1] بن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2000 م، ص416.

[2] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 17،18.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج4، ط4، 1990، ص 125.

[4] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 17.

غمارها بحد السيف واجتياز المخاطر والمغامرة ممتهنا حرفة الغزو والقتال في سبيل الحياة الكريمة والغنى المنشود.

"فالصعلكة في مفهومها اللغوي تعني الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله ويظهر ضامرا هزيلا بين أولئك المترفين حتى يدفعه الفقر إلى حالة من حالات التمرد على القيم والتقاليد، ويبدأ بها وجهة الحياة منفردا، وقد يسلك في ذلك طريق الاغتصاب والسلب والنهب والقتل والجريمة ويعتمد على الفروسية والقوة والسيف والرمح"[1]. أي أن الصعلكة تدفع الإنسان للتجرد من مبادئه الإنسانية وأخلاقه فالغاية تبرر الوسيلة.

ب- الصعلكة في الاصطلاح:

"الصعلكة هي ذلك السلوك العدواني الذي اتخذه أصحابه من الفقراء والمعدمين ذوي النفوس القوية والهمم العالية في سبيل الاستغناء والهرب من ذل السؤال وهو أسلوب على ما فيه من بطش ووحشية ومغالاة يكمن أن نجد له مبررات منطقية ترتبط بالواقع الذي كان يعيش فيه هؤلاء الصعاليك، والظروف الاجتماعية والحياتية السائدة آنذاك، فالغزو إحدى سمات العصر والوجه الأول هو ذلك الصراع القبلي – بين القبائل مع بعضها-أما الوجه الآخر هو ذلك الفردي الذي مثله الصعلوك"[2]. فالصعاليك أفراد كانوا يواجهون جبروت المال وغطرسة السادة فاضطروا للدفاع عن أنفسهم معتمدين على سواعدهم وإمكانياتهم الذاتية.

فالصعاليك هم جماعة ممن احترفوا القتال والغزو وحمل السلاح وقطع الطريق وصبروا على الشدائد وقسوة الحياة، ونعتقد أن الصعلكة هي احتراف السلوك العدواني[3]. وهذا يعني

---

[1] محمد رضا مروة: الصعاليك في العصر الجاهلي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 28.

[2] عبد العزيز بزيان: صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم ونقده، إشراف الأستاذ محمد بن زاوي، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، 2011،2012، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص13.

أن جماعة الصعاليك اتخذوا لأنفسهم طريقا من أجل تحدي ظروف المعيشة الاجتماعية القاسية.

وهناك من ينظر إلى أن الصعاليك ليسوا الفقراء فقط بل هم طوائف من قطاع الطرق كانوا متشردين في أرجاء الجزيرة العربية، ينهبون ما يلقونه في صحرائها الموحشة الرهيبة ويتلعبون به، ويختطفونه ويأكلون ماله[1].فهم لم ينظروا إلى الصعلوك على أنه ذلك الفقير المعدم فحسب بل نظروا إليه على أنه كان فاتكا مغيرا ذو قوة وبأس يهابه الجميع، فقد كانوا مصدرا من مصادر الرعب.

"قسم عروة الصعلكة إلى قسمين: صعلكة الخمول وصعلكة علو الهمة فالصعلوك الخامل فقير حقير يزدريه الكبير والصغير، لا يحس نقصا ولا يترفع عن القيام بكل ما يؤمر به (...) هذه هي الصعلكة السلبية وتقابلها الصعلكة الإيجابية التي يعتنقها عروة بن الورد إليها يدعو وعنها يدافع إنها تتلاقى وعمليات الغزو التي أشعلت الصحراء وتحدث الناس عنها بكل فخر واعتزاز"[2]. فالأولى خاملة خائفة رضت بحياة الذل ولا تفعل شيئا لتغيير واقعها المر، والثانية كفرت بهذا الوضع وتمردت على القيم السائدة والتي كانت سببا في تعاستهم فحملوا السلاح من أجل تمجيد الفرد، وقد دعم رأيه بما يلي:

الصنف الأول:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُـهُ مَضَى فِي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُـلَّ لَيْلَـةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيـقٍ مُيَسِّـرِ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصبِـحُ قاعِـدًا يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِـهِ المُتَعَفِّـرِ[3].

[1] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 20.
[2] عروة بن الورد: الديوان، شرح: سعيدي ضيناوي، ص58.
[3] – عروة بن الورد: الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 44.

ويقول في الصنف الثاني:

وَلكِنْ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنيـحِ المُشَهَـرِّ
وَإِذا بَعِدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَـهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِـبِ المُتَنَظَّـــرِ
فذلكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّـةَ يَلْقَهـا حَميدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًـا فَأَجْــدِرِ.[1]

ومن خلال هذه الأبيات يتضح أن القاسم المشترك بين صنفي الصعاليك هو الفقر وأن نقطة الاختلاف تكمن في أسلوب العيش ووسائله.

"كما أن الصعلكة عند عروة بن الورد هي اغتراب وأسفار، طواف وبحث تتبع أثر ونصب شراك ورسم مكائد، وهي سطو منفرد، أو جماعة قليلة تنظم وتوزع الأدوار وتعين المهاجم والرئينة والحارس"[2]. وعليه فإن مفهوم الصعلكة عند عروة بن الورد مفهوم عام يشارك فيه جميع الصعاليك، لقد جمع الفقر والتمرد بين الصعاليك، فأضحت الصعلكة رابطة قوية لأنهم كانوا يعيشون في عصر هَمَّش الفرد فتكتلوا في جماعات ونشأت بينهم رابطة نفسية بهدف التغلب على الخصاصة وسدّ الخلة بكسب المال، فهم بين أمرين أما الغنى وإما الموت وهذا الأمر الذي دفع بقبائلهم للتخلي عنهم لما ارتكبوه من جرائم وحماقات.

ثانيا: أسباب الصعلكة:

إن ظاهرة الصعلكة بوصفها ظاهرة اجتماعية متمردة في المجتمع الجاهلي تولدت في أخد جوانبها من عدم إمكان تعايش الفرد في إطار القبائل العربية بأنظمتها القاسية وقوانينها الجائرة، ولكنه بخروجه عن القبيلة أخذت تواجهه ضروب من المعضلات والمشكلات لا تقل عن تلك التي عاشها في المجتمع القبلي.

[1] عروة بن الورد: الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، ص45.
[2] عروة بن الورد: الديوان، شرح: سعيدي ضيناوي، ص59.

أ- عدم وجود دولة جامعة:

ولسنا نعني الشكل الظاهري لمعنى الدولة الجامعة وإنما نعني عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة، ويحس أفراد شعب هذه الأمة بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعا يؤثر في سلوكهم، وقد تكون هذه القوة في صورة قانون يخضع له أفراد الأمة ويحسون بسلطانه على نفوسهم وسلوكهم[1]. أي أن الصعاليك ليس لديهم رقعة جغرافية تحكمها قوانين ونظام كدولة قائمة بحدودها كما أن سلطتهم هي سلطة المجتمع بعاداته وتقاليده الشيء الذي أدى بالصعاليك من النفور منها وهذه من الأسباب الأساسية في وجود الصعلكة.

ب- طبيعة الأرض والحياة:

1- **الأرض:** نتيجة لما هو معروف من أن أرض الجزيرة العربية يغلب عليها الطابع الجبلي الصحراوي، نجد أن الطبيعة تخلق حصونا طبيعية لأبنائها تحميهم حينما يطلبون الحماية، وتخفيهم حينما يطلبون الخفية، وهذه الأرض من شأنها أن تغرس في أبنائها طبائع خاصة يتوارثونها وتؤكد لهم وسائل حياتهم[2].فطبيعة الأرض الجبلية القاسية والموحشة انعكست على طبائعهم وسلوكاتهم، وقد كانت هذه الطبيعة وبما تيسره من الاختفاء في مجاهلها وحيالها من العوامل البارزة في نشأة الصعلكة.

لذلك نجد أن الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب لذلك نجد أن الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب إلا أنهم يفضلون أن يكونوا في كنف هذه الطبيعة الصعبة المنال، فنجدهم يألفون الجبال والقفار والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها فحين ننظر إلى شعرهم نجده حافلا بذكر هذه الأماكن الموحشة

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص60.

المبعدة في الوحشة والامتناع[1]. أي أن هذه الأماكن أصبحت بالنسبة إلى الصعلوك الملجأ الذي يرتاح فيه على الرغم من أن غيره يخشاها بينما هو يجدها مكان للاستمتاع.

2-الحياة:

سيطرت على المجتمع العربي آنذاك ظروف كثيرة كان من شأنها أن تساعد على نشأة الصعلكة واستمرارها، فطبيعة البيئة التي يعيش فيها الصعاليك كانت فيها عوامل كثيرة من شأنها أن تدفع إلى الصعلكة وتسير السبل أمام اللاجئين إليها، ومن هذه العوامل الفراغ الكبير الذي يتخلل حياة الأفراد في بيئة لا عمل فيها إلا الرعي للذين يملكون ما يرعونه أو يجدون من يرعيهم[2]. وهذا يعني أن الفراغ من أهم الأسباب التي أدت إلى الصعلكة، فعدم وجود أي عمل يقومون به سلك بهم هذا المسلك.

يرى عروة بن الورد أن من أسباب الصعلكة كذلك فقدان التوازن الاقتصادي والاجتماعي[3]. ليست الصعلكة ظاهرة طارئة على الحياة الاجتماعية الجاهلية، وإنما ولدت بشكل طبيعي لتعبر عن التناقض الكامن في المجتمع الجاهلي وتنبئ عن مدى التردي في الواقع العربي، اجتماعيا واقتصاديا فلقد انقسم المجتمع القبلي إلى طبقات اجتماعية، كما انقسم المجتمع من الناحية الاقتصادية إلى طبقتين: طبقة تملك المال وهي المسيطرة على مظاهر الحياة، وطبقة فقيرة معدمة تعيش على هامش الحياة.

---

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص61.

[2] المرجع نفسه، ص66.

[3] عروة بن الورد: الديوان، شرح: سعدي ضيناوي، ص57.

ثالثا: أنواع الصعلكة:

أ- الصعلكة الثائرة:

ولقد اتخذها أصحابها أسلوبا في الحصول على المال ليشبع حاجاتهم عندما يرفض المجتمع إشباعها لهم[1]. وهذا يعني أن الصعلوك بحث عن طريقة أخرى ليشبع حاجاته ويلبيها، تلك الحاجات التي عجز عنها مجتمعه تلبيتها له فسلك طريق الثورة لتحقيق غاياته.

ب- الصعلكة البائسة اليائسة:

وهي النوع الذي نشأ أصحابه بين القذارة وعاشوا خلف البيوت يمضغون أفانين الذل ويلبون ما يصدر إليهم من أوامر، إنها فئة معروفة في كل جماعة، في كل شارع، وكانت معروفة في كل قبيلة وحتى هذه الفئة تضامنت إلى الذل فلم تشك منه وقامت بالأعمال الحقيرة فلم تتضجر منها[2]. فهذه الجماعة من أسوء الجماعات في الصعاليك لأنها تتصف بالذل والقذارة وهمها الوحيد أن تكون خادمة لآمريها وهي موجودة في أي قبيلة.

رابعا: طوائف الصعاليك:

لقد كون الصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة وتغير على أحياء العرب لترزق نفسها من يأوي إليها، وتكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على أعراف قومهم (...) وفيها مقاتلون وشجعان لا يعبئون بالموت، يفتكون بما يريدون الفتك به، خافهم الناس وامتنعوا جهد إمكانهم من التحرش بهم ومعاداتهم " ومنهم من قبل جوار الصعاليك ورد عنهم وأحسن إليهم، فاستفاد منهم واستفادوا منه"[3]. فقد تكونت هذه العصابات من طوائف مختلفة فكانت تمد مخزونها، وذلك تبعا لاختلاف ظروف وأسباب

---

[1] عروة بن الورد: الديوان، شرح: سعيدي ضيناوي، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ج5، ط2، 1993م، ص413.

الصعلكة، والمتتبع المتمعن لأخبار هؤلاء الصعاليك يمكنه أن يميز بين ثلاث طوائف رئيسية تشكلت منها عصاباتهم وهي كالتالي:

أ- طائفة الخلعاء والشذاذ:

وهم أولئك الذين طردتهم قبائلهم من حماها، وتبرأت منهم وأعلنت أنهم لم يعودوا من ضمن وصايتها ولا تحت حمايتها، فهم لا يمثلونها وهي لا تمثلهم ولا توجد صلة بينها وبينهم وعلى هذا الأساس فهي لا تتحمل تبعات تصرفاتهم[1]. وبهذا تصبح الصعلكة هي وسيلتهم الوحيدة لضمان حياتهم وتأمين رزقهم ومن الذين يمثلون هذه الطائفة نذكر على سبيل المثال: قيس بن الحدادية، وأبي الطمعان الفنيني.

ب- طائفة الأغربة السود:

والعرب تطلق لفظ أو تسمية الأغربة على أولئك الأشخاص من أبناء الإماء السود أو الحبشيات الذين سرى إليه السود من أمهاتهم، وكانت العرب فيما عرف تبغض لون السواد بقدر ما تحب لون البياض، ومن ثم كان لونهم هذا حاجزا دون اعتراف آبائهم بهم[2].أي أن هذه الطائفة تمثل العبيد وكانت مهمشة من طرف مجتمعها بسبب اختلاف اللون أي التمييز العنصري ومن أمثالهم الشنفري وتأبط شرا.

"فالسود بخروجهم عن المجتمع وبرفضهم له في الظاهر والباطن، يركزون على الفرد لا على النوع، فالفرد عندهم كما هو الحال عند الوجوديين، هو الوجود الحقيقي، أما النوع الإنساني فصوره ليست لها حقيقة خارجة عن الوجود ومتى كان الفرد الوجود الحقيقي، فإنه لا ينبغي التضحية به من أجل صورة لا وجود لها في عالم الحقيقة"[3]. أي أنهم بخروجهم

---

[1] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص58،57.

[3] عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1988، ص 316.

سعوا إلى إثبات ذواتهم وكفاءتهم للعرب البيض أو الصرحاء، ومحاولة انتزاع الاعتراف المغيب بهم كل يمثل نفسه.

ج- طائفة الفقراء المتمردين:

وكان القاسم المشترك بين الأفراد هذه الطائفة هو الفقر المدقع، إنه الفقر الذي يغلق أبواب الحياة والذي يدفع بصاحبه إلى نوع من عدم التوافق الاجتماعي، فيصنع منه متمردا ساخطا على المجتمع الذي يعيش فيه، وكانت صعلكتهم تنطوي على أفكار فلسفية ومسوغات نظرية تحمل بذرة الثورة على الأوضاع التي ترفع أناسا في الحضيض الأسفل[1]. وهي على العموم طائفة الفقراء الذين يتصعلكون الفقر والفاقة التي فرضتها الظروف الاقتصادية السيئة في المجتمع الجاهلي.

"فقد عرف على هذيل أنها قبيلة الغزاة الشذاذ؛ أجل كثر فيها هؤلاء الذين اعتادوا أن يقيموا حياتهم على ما ينهبونه من غيرهم، فكنا بذلك نرى الصراع يأخذ طريقتين: طريقا جماعيا ترضاه القبيلة وترسم له وتسير فيه، وطريقا فرديا كان في الحق بابا هاما من أبواب الرزق في حياة الصعاليك الذؤبان"[2]. إذا فما الصعلكة إلا سلوكا اجتماعيا ارتضوه لأنفسهم ونمطا اعتمدوه لحياتهم، لا يرون فيه وصمة عار، بل هو مذهب آمنوا به، يرون فيه كرامة لهم تمنع عنهم مذلة سؤال أهل المن والتطول.

" وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها مناطق الخصب، وكانوا يرصدون طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج القاصدة إلى مكة، ومعنى ذلك أنهم كانوا ينتشرون بالقرب من الطائف والمدينة وأطراف اليمن الشمالية ففي كل هذه الجهات يكثر هؤلاء الذؤبان من

---

[1] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص58.

[2] أحمد كمال زكي: شعر الهذليين في العصر بين الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1969، ص27.

قطاع الطرق وقراصنة الصحراء"[1]. إن هؤلاء الصعاليك أبوْ إلا الاعتماد على أنفسهم وفق الأسلوب الذي اختاروه لحياتهم، فكان يجمعهم إحساس واحد هو أنهم مظلومون في الحياة وعلى هذا الأساس قرروا رفع هذا الظلم عنهم بسواعدهم، وقد اتسموا بجملة من الصفات النفسية والجسدية التي ساعدتهم عل تحقيق أهدافهم ولو بصورة نسبية.

إن هذه الطوائف الثلاث يجمع بينها الفقر المدقع وحالة الطرد الاجتماعي من البناء القبلي فلم يجدوا أنفسهم إلا أمام أمرين هما: "إما أن يقبلوا هذه الحياة المهينة التي يحيوها عل هامش المجتمع في أطرافه البعيدة خلف أدبار البيوت يخدمون الأغنياء وينتظرون فضل ثرائهم وإنما أن يشقوا طريقهم بالقوة نحو حياة كريمة يفرضون فيها أنفسهم على مجتمعهم وينتزعون لقمة العيش من أيدي من حرموهم"[2]. إن تمرد الصعاليك على القبيلة كان تمردا على نظامها وقوانينها وعاداتها وقيمها، واستبدل الصعلوك ذلك المجتمع بمجتمع جديد له قيمهُ وقوانينه، فكل ما يملكه الصعلوك متمثل في الذكاء والسيف والأنف، فهذه المقومات الثلاث تبعد عنك مظالم المجتمع.

خامسا: الصعلكة وألفاظ أخرى:

الواقع أن هناك ألفاظ أخرى تشارك الصعلكة في مدلولها، وذلك أن موضوع البحث لا تعنيه الصعلكة بمدلولها اللغوي وهو الفقر وإنما يعنيه مدلولها العرفي وهو اللصوصية وقطع الطريق، وباقي أساليبهم العدوانية، وهذا المدلول تؤد به وتؤدى بعضه ألفاظ أخرى منها:

أ- خليع:

جاء في لسان العرب "... وَغُلاَمٌ خَلِيعٌ، وَهُوَ الذِي خَلَعَهُ أَهْلُهُ فَإِنْ جَنَى لَمْ يُطَالِبُوا بِجِنَايَتِهِ، وَالخَوْلعَ الغُلاَمُ الكَثِيرُ الجِنَايَات، وَالخَلِيعُ الرَجُلُ الذَي يَجْنَى الجِنَايَات يَؤْخُذُ بِهَا

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص376.

[2] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص33.

أَوْلِيَاءَهُ فَيَتَبَرَّؤُون مِنْهُ وَمِنْ جِنَايَاتِهْ وَيَقُولُونَ أَنَا خَلَعْنَا فُلاَنًا نَأْخُذُ أَحَدًا بِجِنَايَةٍ تُجْنَى عَلَيْهِ، وَلاَ نُؤَاخِذُ بِجِنَايَتِهِ التِي يَجْنِيهَا، وَكَانَ يُسَمَى فِي الجَاهِلِيَةِ الخَلِيعُ "[1].فهنا الخليع ليس له مكانة في المجتمع فلا يهمهم أمره وما يفعلهّ، فلا أخد يقبل تبنيه لذلك ليس أمامه خيار غير الالتحاق بذلك العالم أي بعالم الصعاليك، ويخلي القبيلة عن أحد أفرادها فهو مظهر اجتماعي معروف وله اسم محدد وهو الخلع.

ب- فاتك:

"فقد تذبذب بين استعمالين: استعمال في معنى السطو وقطع الطريق أي في معنى الصعلكة، واستعمال عام يدور حول الجرأة والشجاعة، وإن كان فيه شيء من أساليب الصعلكة، ويضيف لهما معنى آخر وهو المغافلة والغيلة وهذا المعنى هو الذي يربط الفتك بالصعلكة"[2]. وفي هذا نجد ثلاث معاني للفتك إحداهما عام وهو الجرأة والشجاعة وهو إن كان من صفات الصعاليك إلا أنه عام فيهم وفي غيرهم، فالصلة فيه بين الفتك والصعلكة غير واضحة أما المعنيين الآخرين وهما الغيلة وانتهاز الغفلة فهما من لوازم الصعاليك الذين يعتمد عيشهم وسلوكهم على السطو والغرات واللصوصية، فالغيلة وانتهاز الغفلة جعل من لفظ فاتك يطلق في أغلب حالاته على الصعلكة لمعناها العرفي وهو اللصوصية وقطع الطريق وما ينحو نحوهما.

ج- الذؤبان:

وقد لقيت كلمة ذؤبان اهتماما في مدلولها العرفي أكثر من الاهتمام بغيرها، وقد ارتبطت لفظة ذؤبان باللص، ويقال لصعاليك العرب ولصوصها ذِئبان لأنهم كالذئاب يتلصصون

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص 1233.

[2] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص18.

ويتصعلكون[1]. ولفظة ذؤبان أطلقت على فئة من العرب وهم الصعاليك، وهناك ألفاظ أخرى كالشيطان وشاطر وعبار تدور في نفس فلك الألفاظ السابقة.

سادسا: موضوعات الصعلكة:

باستثناء الشذوذ الذي لا تخلو منه قاعدة أو حكم يمكن أن يقال أن شعر الصعاليك ليس له موضوعات معينة يتجه إليها اتجاها مقصودا ومع ذلك نراه يكاد يطرق كل الموضوعات المألوفة في الشعر العربي القديم على تفاوت في تعرضه لهذه الموضوعات إذن فشعر الصعاليك يشمل عل موضوعين أساسيين هما: شعر الصراع ويشمل الموضوعات المشار إليها بفروعها، والشعر الاجتماعي ويشمل حياتهم وصلاتهم الاجتماعية.

أ- شعر الصراع:

1- المغامرات والصراع:

"لقد اتخذ الصعاليك من الغزو والإغارة والسلب والنهب شعارا لحياتهم، فقد كان من الطبيعي جدا أن يكون حديث المغامرات أكبر ما يعتني به شعراؤهم إذا كانت المغامرة هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم والأسلوب الذي سلكوه لتحقيق غايتهم، فالمغامرة بالنسبة لهم هي الحياة نفسها، وهي الواجهة التي يطلون من خلالها على العالم الآخر الذي خرجوا عليه وهو عالم القبيلة"[2]. لقد كانت هذه المغامرات من أهم الأسباب التي تدفع بهم للتعبير عن شجاعتهم وقدراتهم القتالية وإبراز ذاتهم.

وإذا كانت طبيعة حياة الصعاليك القائمة على الغزو والإغارة قد فرضت غلى أشعارهم حديث المغامرة، فإن من الطبيعي أيضا أن يقترن حديثهم أيضا عن أسلحتهم التي كانوا يعتمدون عليها في مغامراتهم تلك، فالسلاح وسيلتهم التي يعتمدون عليها في تحقيق

[1] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص17.

[2] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص70.

أهدافهم[1]. إن أهم وسيلة كان يعتمد عليها الصعاليك في غاراتهم هي السلاح بذلك نجد تفسير ظاهرة السلاح وطبيعة استخدامه تختلف باختلاف وجهات نظر الشعراء.

لقد كان السلاح من أهم الأشياء عند الصعاليك لذلك حظي باهتمامهم وأن وصفهم للأسلحة قد ساوى وصف شعراء عصرهم لها وذلك لأن أسلحتهم التي يحملونها شبيهة بالأسلحة التي كان يحملها غيرهم من مقاتلي العرب[2]. أي أن السلاح يبقى وسيلة هامة عند الصعلوك مثله مثل مقاتلي العرب، ومن هذه الأسلحة الدفاعية: الرماح، الدرع، الترس والمغفر.

من أبرز المقطوعات الشعرية التي كان عروة بن الورد يحث فيها الناس على الغزو والإغارة بحثا عن المال والغنائم مقطوعته التي يقول فيها:

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيـرُ

وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ[3].

إن هذه المقطوعة فيها من المعاني ما يدعو الناس إلى الاغتراب عن أوطانهم ويشجع على حياه الغنى، لأن الفقير بالنسبة لهم أهون الناس.

2-المراقب:

"وهي تلك المرتفعات العالية، التي اتخذها الصعاليك مكانا للتربص بأعدائهم والترصد لضحاياهم"[4]. أي أنها تعد من أهم الأماكن في حياة الصعاليك، وهي بالنسبة إليهم موقع استراتيجي وحربي، وهذا ما يبين لنا مدى اعتماد الصعاليك على طبيعة البيئة من حيث المكان ومدى تسلحهم بها في صراعهم سواء كان ذلك في حالة الهجوم والدفاع.

---

[1] سيد حنفي حسنين: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د، ط)، (د، ت)، ص94.

[2] غازي طليمات: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007، ص276.

[3] عروة بن الورد: الديوان، شرح ابن السكيت، تح، عبد المعين ملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1966، ص91.

[4] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص215.

اختلف الشعراء الصعاليك في الحديث عن مراقبهم وسبيلهم في الصعود إليها، إلا أن الأمر مختلف تماما مع عورة بن الورد، فهو لا يكون ربيئاً لأحد، ولكنه يبعث أحد رفاقه ليكون ربيئا له ولجماعته، إذ يقول:

إِذَا مَا هَبَطْنَا مَنْهَلاً فِـي مَخُوفَـةٍ بَعَثْنَا رَبِيئاً فِي المَرَابِئ كَالجِذْلِ

يُقَلِّبُ فِي الأَرْضِ الفَضَاءَ بِطَرْفِهِ وَهُـنَّ مُنَاخَـاتٌ وَمِرجَلُنَّـا يَغْلِـي[1].

فقد كانت غاية الشعراء الصعاليك من الحديث عن مراقبهم تبيان قدراتهم الجسمية وتصوير قابليتهم على تحمل المشاق، والأمور الجسام والصبر عليها.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى تعليل عناية الشعراء الصعاليك بالمراقب بقوله وعناية الصعاليك بالمراقب أمر متوقع، لأنها حصونهم المنيعة وقلاعهم المطلة على الدنيا ومواطنهم بعد أن قطعوا صلتهم بالأوطان[2]. وهذا يعني أن المراقب حازت على مكان مميز وهام بالنسبة لحياة الصعلوك لأنها تعد الجدار الحامي لهم وموطنهم الثاني بعد موطنهم الأصلي.

" إن المرقبة لدى الشعراء الصعاليك قد عبرت عن معنى من معاني القوة لديهم وأن طرقهم لهذا الغرض جاء تعبيرا عن معاني الفخر والشجاع التي يبعثها ارتياد مثل هذه الأماكن علاوة على ما يشكله الحديث عن هذه الأماكن من إحساس بالأمان والطمأنينة من الأعداء كافة"[3]. وهكذا نرى أن الحديث عن المراقب عند الشعراء الصعاليك يدخل في باب الفخر الضمني، الذي يريد الصعاليك من خلاله تصوير قدراتهم البدنية التي تميزهم عن غيرهم، علاوة على أنها تشكل لهم مواقع آمنة.

---

[1] عروة بن الورد: الديوان، شرح ابن السكيت، ص 116،117.

[2] غازي طليمات: تاريخ الأدب العربي الأدب الجاهلي، ص277.

[3] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهلين، ص83.

3- سرعة العدو والفرار:

سرعة العدو من الموضوعات التي كثر حديث الشعراء الصعاليك الجاهلين عنها، إذ جاء مقترنا بحديثهم عن مغامراتهم (...) فإن طبيعة معركتهم والتجائهم إلى المناطق الجبلية الوعرة كانت تستدعي منهم، فضلا عن معرفة المسالك معرفة سرعة العدو[1]. والمغامرات التي كان يقوم بها الصعاليك كانت مقترنة بسرعة العدو، كما أن سرعة العدو لازمة بالنظر إلى الطبيعة الجبلية الوعرة.

ويعد تأبط شرا من أبرز الصعاليك الذين تحدثوا عن سرعة عدوهم ومن ذلك ما رواه في قافيته المشهورة إذ يقول:

لَيلةَ صاحُوا وأَغْرَوْا بِي سِرَاعَهُمُ بِالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَ ابنِ بَرَّاقِ

كأَنَّما حَثْحَثُــوا حُصًّــا قَوادِمُــهُ أَوأُمَّ خِشْفٍ بِذي شَـثٍّ وطُبَّـاقِ[2].

لقد كان دافع الشعراء الصعاليك من الحديث عن سرعة عدوهم هو محاولة تعليل هذه الظاهرة التي تعتبر من أبرز الظواهر التي دفعت بالشعراء الصعاليك للوقوف عندها والتحدث عنها.

إن حديث الشعراء الصعاليك عن سرعة عدوهم بإلحاح شديد يعود إلى أمرين أولهما: شعور الصعاليك أن سرعة العدو هي ميزة تفردوا بها عن غيرهم من أبناء جنسهم وثانيهما: إيمانهم الشديد أن سرعة العدو من الأسباب الأساسية التي يعود إليها نجاحهم في كثير من المواقف والمآزق الحرجة[3].إن محاولة تعليل هذه الظاهرة هو دفعهم إلى التفطن إلى سرعة عدوهم وجعلها وسيلة للنجاة، وهو الشيء الذي خول لها أخذ ميزة أساسية لديهم.

---

[1] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص79.

[2] تأبط شرا: الديوان، جمع وتحقيق وشرح ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984، ص 105.

[3] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص80.

كما تحدث الشعراء عن فرارهم وذلك أن الفرار بالنسبة لهم هو أحد أهم أسلحتهم والدافع الكامن وراءها هو الحفاظ على حياتهم وبقائهم في مجتمع أنكر عليهم حقهم في الحياة والبقاء[1]. إن حرص الشعراء الصعاليك على أحاديث الفرار في شعرهم يعود إلى كونه المجال الوحيد الذي يمكن من خلاله إظهار الميزة التي عرفوا بها وهي سرعة عدوهم والفخر بها.

4- الحيلة والحذر:

وهي أحد الموضوعات التي تطرق إليها الشعراء الصعاليك الذي يصور لنا جانب من جوانب حياتهم القائمة عل الغزو والإغارة، فإن المآزق الكثيرة التي كان الصعاليك يتعرضون لها هي التي دفعتهم إلى اللجوء إلى هذه الحيل وذلك بهدف التخلص منها عاجلا هذا الموضوع مقترنا بحياة الصعاليك العدائيين دون غيرهم[2].أي أن الصعاليك العدائيين كانوا يتميزون بالحلية على غرار الآخرين وهذا حفاظا على حياتهم وتجنبا للمآزق.

لقد ارتبط الحديث عن الحيلة لدى الشعراء الصعاليك بموضوع آخر هو الحذر واليقظة، فقد كانوا في يقظة وترقب شديدين، وهذا ما أشار إليه تأبط شرا بقوله:

إِذَا خَاطَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِئٌ مِنْ قَلبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ[3].

إن ما دفع الشعراء الصعاليك إلى معالجة هذا الموضوع هو طبيعة حياه الصعلكة التي عاشوها والتي كانت تتطلب منهم التربص بأعدائهم والترصد لهم.

[1] غازي طليمات: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص273.

[2] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 277،278.

[3] تأبط شرا: الديوان، ص117.

أ-الشعر الاجتماعي:

1-الفقر والتشرد:

هو أكثر الموضوعات التي تناولها الشعراء الصعاليك في أشعارهم فغالبا ما يجيء حديثهم عنه مقترنا بحديثهم عن غاراتهم وغزواتهم[1]. وهذا يعني أن عامل الفقر والتشرد هو الدافع الذي أدى بهم إلى الغزو والإغارة فهو أمر طبيعي في حالتهم.

ومن أبيات عروة بن الورد التي تحدث فيها عن موضوع الفقر، فنالت الاستحسان بها فيها من جمال المعنى وصدق العاطفة قوله:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَاماً وَلَمْ يَرُح عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيـهِ أَقَارِبُـهُ

فَلِلْمَوتِ خَيـرٌ للفَتَى مِنْ حَيَاتــِهِ فَقِيراً، وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُّ عَقَارِبُهُ[2].

صحيح أننا نفهم من كلامه أن الفقر مرض ينبغي على الإنسان التخلص منه غير أنه لم يكن ينظر إلى هذا الموضوع على أساس أن الحديث عنه مناقشة في شعره يشكل عنصرا من عناصر ضعف شخصيته وعجزها، بل العكس من ذلك فهو أراد أن يصور لنا فلسفته في الحياة والواقع الاقتصادي السيئ الذي يعيشه.

لقد كان التمرد والفقر والعوز العامل الأساسي الذي يقف وراء خروجهم طاعة مجتمعهم واتخاذ الصعلكة وسيلة لتغيير الواقع فمن هذا المنطلق كان من الطبيعي جدا أن يكون موضوع الفقر والتشرد هو مدار حديثهم[3]. إن اتخاذ الصعاليك أحاديث الفقر والتشرد مادة لتصوير عزة نفسهم وكرامتها ونبلها بل إن براعتهم في تحويل الفقر من كونه عيبا ينقص من مكانة الشخص الفقير إلى عنصر فخر واعتزاز.

---

[1] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 185.

[2] عروة بن الورد: الديوان، شرح بن السكيت، ص29.

[3] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص87.

2-ذكر الرفاق:

من الموضوعات التي يكثر الحديث عنها في شعر الصعاليك هو حديثهم عن رفاقهم الذين يشاركونهم غزواتهم ومغامراتهم إذ كثيرا ما يعمدون إلى وصفهم وبيان دورهم وتسجيل ما يقوم به كل واحد منهم[1].إن الغاية من تلك الأحاديث هو تصوير إيمان الشعراء بقيمة هؤلاء الرفاق وما يشكله وجودهم من أهمية كبيرة في حياتهم القائمة غلى الإغارة والغزو فهم يحاولون التعويض عن أواصل القرابة الاجتماعية التي افتقدوها نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم.

إن حديث عروة بن الورد عن الرفاق أخذ شكلا مغايرا، فهو حديث القائد والزعيم، لا حديث الرفيق أو الزميل إذ يقول:

إِنِي لَمُسْتَافُ البِلاَدِ بِسَرْبَةٍ فَمَبْلَغُ نَفْسِي عُذْرَهَا، أَوْ مَطَوَّفٌ[2].

إن حديث الشعراء الصعاليك الجاهلين عن الرفاق كان تعويضا عن اواصر القرابة الاجتماعية التي افتقدوها نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم.

3-وصف الحيوان:

حاز موضوع وصف الحيوان على اهتمام وعناية الشعراء الصعاليك الجاهلين إذ كثر في شعرهم الحديث عن حيوانات الصحراء وعلاقتهم بها، ولا نكاد نجد ديوانا من دواوينهم يخلو من الحديث عنها[3].لقد حظي الحيوان بمكانة خاصة عند الشعراء الصعاليك وهذا ليؤكد تميزهم عن بقية شعراء العصر الجاهلي هذا التمييز الذي تمثل في معايشتهم للحيوانات.

لقد جاءت أبيات الوصف لدى عروة بن الورد موافقة لانفعاله ومشبعة لنزعته الفنية ومن أكثر صورة فنية براعة تلك الأبيات التي قالها في وصف الأسد:

---

[1] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص205.

[2] عروة بن الورد: الديوان، شرح بن السكيت، ص108.

[3] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص91.

تَبَغَانِيَ الأَعْدَاءُ إِمَّـا إِلَـى دَم وَإِمَـــا عَرَاضُ السَاعِدَيْـــنِ مَصـــدَرًا
يَظِل الإِبَاءُ سَاقِطاً فَوْقَ مَتْنِهِ لَهُ العَدْوَةُ الأُوْلَى، إِذَا القِرْنُ أَصحرًا
كَأَنَّ خَوَاتَ الرعدِ رَزُّ زئيره مِنْ اللاَءِ يَسْكُـنَّ العَرِيـــنَ بَعْثّـــرًا[1].

إن الوصف لديه لم يكن غرضا مقصودا لذته، وإنما كان أداة إبداعية اعتمد عليها الشاعر في أداء أغراضه الشعرية معبرة عن موهبته المتخيرة.

"فمن الطبيعي أن يكون حديثهم عن الذئب حديث الخبير العارف بكل ما يتعلق به وذلك لتقارب السبل التي يعتمدها كل منهما في البقاء والاستمرار، لذلك فليس غريبا أن يؤثر الشنفري الأزدي صداقة الذئب وغيره من الحيوانات على صداقة بني البشر لكون هذه الحيوانات أحرص على القيم وأرهف إحساسا"[2]. فالشعراء الصعاليك يفضلون صداقة الحيوانات على غرار البشر لما يجدون فيهم من صدق ووفاء، فوصف الذئب هو موضوع الصعاليك في الأصل وذلك لأن الذئب يرتبط بالفقر والجوع لذلك كان القاسم المشترك ينهم ولهذا كان يطلق على الصعلوك اسم الذئب.

إن ألفة الصعاليك للحيوانات نابع من أمرين: أولهما ضيقهم من البشر وابتعادهم عنهم والثاني: لرهافة حسهم وشعورهم الإنساني الذي أدى إلى أن يألفوا هذه الحيوانات وتألفهم[3]. وهذا يحيلنا إلى أن هؤلاء الشعراء الصعاليك وجدوا الراحة والاطمئنان الذي لم يجدوه في البشر فقد اعتادوا على هذه الحيوانات وألفوها.

[1] عروة بن الورد: الديوان، شرح بن السكيت، ص62.
[2] نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 165.
[3] بشار سعدي إسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، ص94.

سابعا: الخصائص الفنية لشعر الصعاليك:

أما السمات الخاصة والخصائص الفنية التي امتاز بها الشعر الصعلوكي فيمكن أن ترصد فيما يلي:

أ- المقطعات الشعرية:

تعد المقطعات الشعرية من الأشكال الفنية المألوفة عند العرب منذ القدم، حيث إن بداية الشعر قيل بأنها جاءت على هذا الشكل في أبيات قصيرة يقولها الرجل في حاجته.

والمقطعة الشعرية من حيث تحديد بنائها الشعري تباينت نظرة اللغويين والنقاد، أما تحديد اللغويين فكان يركز على جانب القصر فيها فابن دريد يقول" والقطع سهم قصير النصل عريض"[1]. وهنا يقصد بالقطعة القصر، وهي ما يتراوح ما بين ثلاث أبيات إلى خمسة عشر بيت فهي تعد قطعة.

ويقول ابن فراس: المقطعات: الثياب القصار، وفي الحديث "أن رجلا أتاه وعليه مقطعات له، وكذلك مقطعات شعر"[2]. أي أن المقطعة تطلق أيضا على الثياب القصيرة وهي بهذا اشتراك مع المقطعة الشعرية في صفة القصر.

ويقول الزمخشري:" وعليه مقطعات: ثياب قصار، وجاء بمقطعات من الشعر وبمقطوعة، وقطعة، وما عليها من الحلي إلا مقطع: شيء يسير من شذر، ونحوه"[3]. فالمقطعات الشعرية يمكن أن تكون إرهاصا بهذا الاكتمال الفني الذي ذهبت إليه، لأن وصفهم للقصار من القصائد بالمقطعات دون القطع والمقطعات يأتي من إحساسهم بتميز المقطعات بصفة خاصة دون بقية الأسماء التي تتوافق وما يدور حوله الأصل المعجمي لمادة (قطع) من الفصل، البتر.

---

[1] ابن دريد: جمهرة اللغة، تح، رمزي بعلبكي، دار العلوم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ص 915.

[2] ابن فراس: مقاييس اللغة، المجلد الثاني، ط1، ص407.

[3] جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409م، ص514.

ب- الوحدة الموضوعية:

"الشاعر الصعلوكي يسلط الضوء على تفاصيل الموقف الذي يتحدث عنه وبعدها يرسم توقعاته في إثر موقفه"[1]. فهنا الشاعر الصعلوك يحلل الموقف الذي يتحدث عنه بأدق تفاصيله ويحاول أن يصب عليه آرائه وتوقعاته داخل الموقف نفسه.

"حتى وإن تطرق الشاعر لموضوع آخر نجده في النهاية يرجع لموضوعه أي يكون خادما للموضوع الذي يتحدث عنه، وهذه الوحدة التي امتاز بها الشعر تجعل من السهل اليسير أن يجعل لكل قطعة شعرية عنوانا"[2]. وعليه فالشاعر يستعين بمواضيع أخرى تخدم موضوعه.

جـ- الواقعية:

تعرف الواقعية بأنها عدم خروج الأديب بأدبه عن دائرة الواقع المألوف الذي يألفه الناس، وإذا نظرنا إلى واقعية شعر الصعاليك نجدها تتمثل فيما يلي:

1. شعرهم كله لا يغدو تصوير الواقع الذي يعيشون فيه، وتصوير إحساسهم بهذا الواقع وأشعر شعرهم يعتبر كالمذكرات الشخصية التي دون كل منهم خواطرهم الواقعية فيها في نطاق حياته ومعيشته، وصلاته وصراعه مع ما حوله ومن حوله[3].عندما نرجع لكل الموضوعات والأغراض التي طرقها شعرهم لوجدناها جميعا تصويرا لواقعهم الذي يعيشون فيه، ولوجدنا التصوير نفسه واقعيا، فالموضوع واقعي وتصويره أيضا واقعي.

---

[1] أحلام عبد العالي غالي الصاعدي: شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شُرَّاحها دراسة نقدية، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في الأدب العربي، إشراف الأستاذ حسن محمد باجودة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص120.

[3] عبد الحليم حنفي: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 283.

2. والأمر الثاني الذي تتمثل فيه واقعية شعر الصعاليك أن تعبيرهم وتصويرهم لموضوعات شعرهم واقعية بحتة أيضا، (...) ولكن الصعاليك لا يتعدون في تشبيهاتهم وحتى في خيالهم الصور الواقعية البحتة[1]. بمعنى أنهم حينما يردون تشبيه شيء واقعي لا يشبهونه بشيء خيالي وإنما يشبهونه بشيء واقعي أيضا، فهم يراعون ما كان معروفا من واقع وحقيقة.

فالشعر الصعلوكي كما يذكر الدكتور يوسف خليف ما هو إلا صور فوتوغرافية تسجلها عدسات الصعاليك[2]. فهو بهذا يقوم بتصوير الواقع الذي يعيشه تصويرا دقيقا بكل جوانبه بعيدا عن الخيال والمبالغة.

د- التحلل من الشخصية القبلية:

عرف عن الصعاليك أنهم خرجوا عن نظام القبيلة، وطبيعي أن يخرج شعرهم، وأن يتحلل من شخصية قبيلتهم، فالصلة بين الشاعر وقبيلته منقطعة تماما وبانقطاعها تنقطع كل الجوانب فما الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعيا فمن الطبيعي أن تنقطع فنيا[3]. وهذا يعني أن الشاعر الصعلوك بانقطاعه عن قبيلته ينقطع العقد الفني الذي نراه بين الشاعر وقبيلته، فلا يكون بذلك لسان عشيرته لأن ما بينه وبين عشيرته قد انقطع.

فيصبح شعره صورة صادقة كل الصدق عن حياته يسجل فيه كل ما يدور فيها ويصبح ضمير الفرد "أنا" أداة التعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة "نحن" الذي هو أداة التعبير القبلي، وتصبح المادة الفنية لشعره مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته[4].

---

[1] عبد الحليم حنفي: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص374، 375.

[2] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص283.

[3] أحلام عبد العالي غالي الصاعدي: شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شُرَّاحها دراسة نقدية، ص 124.

[4] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص276،277.

وبهذا يصبح الشعر مرآة عاكسة للفرد، وأداة للتعبير عن شخصيته عكس الشاعر الذي يعبر عن قضايا مجتمعه.

هـ- الموسيقى الشعرية:

" قد دأب القدماء عل تعريف الشعر بأنه: قول موزون ومقفى يدل على معنى"[1]. فالشعر منبعه الموسيقى الشعرية المكونة من وزن وقافية وهذه هي الموسيقى الخارجية يحكمها العروض وحده وأول أركانه هي:

1- الوزن:

هو الذي يحفظ للشعر حلاوته ويزيد عذوبته فإن عدل به عنه مجّتْهُ الأسماع وفسد على الذوق[2]. وهو الركن الأول من موسيقى الشعر ويزيد على ذلك أنه قوام الشعر وحافظه.

يقول ابن رشيق الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية[3]. ومن هنا نستنتج أن الوزن له مكانة في الشعر ويعد عمودا له، به يسمو ويصل مرحلة النضج.

2-القافية:

تعد القافية الركن الثاني من الموسيقى الخارجية حيث جعلها العلماء قسيمة الوزن وشريكته، وخصوصا بعلم سموه علم القوافي[4].إن القافية إحدى أركان الشعر، ونظرا لقيمتها أصبحت علما قائما بذاته.

---

[1] محمد بن يحي: قوافي الشعر العربي من التقطيع العروضي إلى نظام المقاطع الصوتية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، (د، ع)، (د، ت)، ص2.

[2] المرجع نفسه، ص2.

[3] ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ج1، ط1، 2000م، ص 218.

[4] محمد بن يحي: قوافي الشعر العربي من التقطيع العروضي إلى نظام المقاطع الصوتية، ص2.

" يقول ابن رشيق القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"[1]. أي أن الوزن والقافية هما عنصران يقوم عليهما الشعر وبهما يسمى الشعر شعرا.

" وما يهمنا من القافية هو النظر إلى حرف الروي لكونه هو الحرف الذي يلتزم به الشاعر في كامل القصيدة وغالبا ما يكون في القصائد العمودية القديمة، واختياره لحرف بعينه لقصيدة ما سواء كان اختياره معتمدا واعيا أم جاء عفويا لخاطر في كتابته الشعرية"[2]. إذ لابد من وجود علاقة بمضامين قصيدة الشاعر وشعوره فإذا نظرنا إلى قوافي شعر الصعاليك نجد أن هناك علاقة وطيدة بمضمونها وبأنها الذي وجدت فيه تلك المقطوعات الشعرية.

[1] ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص 218.

[2] حسين ناصر: القافية في العروض والأدب مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 128،129.

الفصل الثالث

تجليات الحرب في شعر عروة بن الورد.

أولا: الحرب ودلالة البنية الصوتية.

ثانيا: الحرب و الصورة الشعرية.

ثالثا: دلالة الحرب في شعر عروة بن الورد.

أولا: الحرب ودلالة البنية الصوتية:

اللغة هي الظاهرة الفريدة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، لذلك ترك العرب القدامى ثروة غنية وكبيرة في مجال الدراسة اللغوية، حيث تعد اللغة العربية من اللغات القليلة التي حظيت بدراسة وافية لهذا الجانب بشكل يكاد كاملا، فقد درسوا ما يسمى بائتلاف الحروف ووظائفها في الكلام الفعلي، ومختلف التغيرات التي تطرأ عليها والتي بها يتبدل المعنى، ولذلك فإن للغة دلالة وطيدة بكافة مستويات النص من صوت وقافية ووزن وتكرار.

أ- دلالة الصوت:

يعني بها المعنى المستفاد من نطق ألفاظ معينة، حيث أن الأداء الصوتي للكلام يسهم بدور فعال في تحديد الرسالة اللغوية المراد توجيهها للقارئ والمستمع في آن واحد.

1-تعريف الصوت لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور:" الصَّوتُ: الجَرْسُ، مَعرُوفٌ مُذَكرٌ... وقد صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نادَى. ويقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّت بإنسانٍ فدعاه. ويقال: صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، فهو صائت، معناه صائح.....والجمع أَصْوَاتٌ"[1]. وهو ظاهرة فيزيائية ينتج عن طريق عدة أجهزة منها جهاز النطق، فهو منطوق.

2-اصطلاحا:

الصوت: هو عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته ألا يرى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فيؤخذ له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه أو متجاوزا له ثم

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص2521.

قطعت أحسست عند ذلك الصدى الأول[1]. وهذا يعني المراحل التي يتم فيها الصوت ليخرج إلى دائرة الاستخدام.

ولقد اخترنا بعض القصائد من ديوان عروة بن الورد لنبحث فيها عن دلالة الأصوات الفاعلة في توجيه الدلالة العامة للدراسة ومن القصائد المختارة هي:

1- قصيدة أيا راكبا:

يخاطب عروة بن الورد في هذا النص بني ناشب طالبا منهم تحمل مسؤوليتهم تجاه قومهم ثم يتوجه إلى بني عوذ مطالبا عقلائهم بمنع سفهائهم من التعرض له تاركا لهم إحدى الخيارين إما كفهم عنه أو الحرب المضنية التي لا منتهى لها والتي لا يطيقونها وهي الفيصل الذي سيظهر الشريف من غيره، وبما أن المقام أو المناسبة وأحداث القصيدة تتضح بمعاني القوة والشدة وظف الشاعر الأصوات المجهورة التي تنسجم مع تلك الملابسات التي يتطلب التعبير والإفصاح عنها بدقة استعمال المجهورات التي أدت معاني الشدة والحزم التي اتسم بها عروة بن الورد والمثال الآتي يوضح ذلك:

أيا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي نَاشبٍ عَنِي ومن يَتنْشِبْ

أَكُلَّكُمْ مُخْتارُ دارٍ يَحُلُّهَا وَتَارِكُ هُدْمٍ لَيْسَ عَنْهَا مُذنَّبُ[2].

فكلمة "أيا راكبا" تدل على جلب الانتباه على الرغم من أن الراكب غير موجود، لكن عليهم الاستماع لذلك لأن عروة بن الورد في حالة غضب شديد كما أنه يخلق عالم افتراضي.

وأما كلمة "هُدْمِ" فإن دلالتها مرتبطة بالدم المهدور والذي يوحي إلى عدم اهتمام عروة بن الورد لذلك، وهو مستعد للمزيد.

---

[1] ابن حني: سر صناعة الإعراب، تح، حسين هنداوي، دار العلم، ط1، ج1، 1985، ص6.

[2] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1982، ص17.

وقوله أيضا:

وإن شئتمُ حاربتُموني إلى مَدًى فيَجهَدُكم شأوُ الكِظاظِ المغرّبُ [1].

حيث افتتح الشاعر بيته بالدعوة إلى الحرب على مر الأزمان فلا يوجد عنده فرق، أما كلمة كظاظ تذل على الشد والتعب دلالة على ضيق الحرب عند المعركة.

2- قصيدة: النفس أخوف:

لقد قال عروة بن الورد القصيدة عندما طالبه فقراء بني عبس بإغاثتهم من القحط فخرج ليغزوا بهم غير أن امرأته نهته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها وخرج غازيا.

ولذلك اجتمعت في هذه الأبيات الأصوات المهموسة لتجسيد معنى الخوف من الهلاك وفشل المسعى، وتجسيد ما لحق قوم عروة بن الورد من ضعف ووهن جراء الجوع وانعدام سبل الاسترزاق ومن الألفاظ الدالة على هذا الداء الصوتي قوله:

أَرَى أُمّ حسَّانَ، الغَدَاةَ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ، والنَّفسُ أَخْوَفُ[2].

حيث يتضح لنا من لفظة النفس أخوف بأن زوجته زرعت وبثت في نفسه نوعا من الخوف والتخوف من العداء.

وقوله أيضا:

لَعلَّ الذي خوّفتِنا من أمَامِنَا يصادفُه، فِي أهلِهِ، المتخلِّفُ[3].

دلالة على تخوف زوجة الشاعر من الموت بسبب الغزو فيرد عليها بأن الموت قد يدرك الجالس في بيته قبل الغازي.

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وقوله أيضا:

لَهُ خَلّةٌ، لا يدخلُ الحَقُّ دُونَهَا كَرِيمٌ أَصَابَتْه خُطوبٌ تُجَرِّفُ

فَإِنّي لمُستَافُ البِلادِ بِسُرْيَةٍ فَمُبلغُ نَفسِي عُذرَهَا، أَو مُطوّفُ[1].

فلفظة "له خلة" تدل على الحاجة وسوء الحوال والفقر، أما كلمة "فإني لمستاف" فهي توحي بأن عروة بن الورد سلك مسافة طويلة من أجل الاسترزاق ليصد الجوع الذي لحق قومه (بني عبس) وهذا يدل على الضعف العميق الذي يمر به الشاعر وقومه من انعدام القوت وضيق الأحوال التي تبعث في نفسه الإحساس بعدم الأمان الذي يستوجب عليه استعمال الأصوات المهموسة الرخوة النابعة عن الضعف.

3- أقلي اللوم:

لقد توجه عروة بن الورد في هذه القصيدة إلى امرأته سلمى التي كانت تلومه على المخاطرة بنفسه وإدمانه الغزوات والغارات في أحياء العرب، فرد عليها قوله بأنه إنما يبغي ذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته، ثم هو يرسم سياسة للصعاليك فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذي لا يسعى للالتماس المال، وإنما ما يريده هو أن يكون غازيا جريئا يخشاه الناس في المحضر والمغيب، ولا يأمنون غزوه.

اجتمعت في هذه القصيدة الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة حيث افتتحت القصيدة بصراع داخلي يدور في نفس الشاعر بسبب إلحاح زوجته على ترك الغارات والغزوات مثل قوله:

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ

وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاعِدٍ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبارِ البُيوتِ ومَنْظَرِ[2].

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 36.

فالشاعر يعيش صراعا داخليا لكسب رهان الحرب أو الموت في سبيل ذلك أي المغامرة المفتوحة على المخاطر والكسب الوفير من المال من أجل بلوغ الغنى لنيل مكانة مرموقة في بيته وقومه.

وقد انتقل بصورة مغايرة من الهمس الداخلي إلى استعمال الأصوات المجهورة التي تمثلت في قوله:

وَلكِن صُعْلُوكٌ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ المُتَنَوِّرِ[1].

وهذا يدل على أن هذا الصعلوك المغامر الجريء إن مات ظلت ذكراه خالدة وإن استغنى فهو جدير بالغنى ويستحقه ولذلك وجب عليه استعمال الأصوات المجهورة من أجل بث الحماس في نفسية الصعلوك المغامر الجريء.

4- قصيدة: شيبته الوقائع:

لقد تحدث عروة بن الورد في هذه القصيدة عن فروسيته وهو هنا يؤصل القيمة الأخلاقية للإقدام والغزو فالسيادة لا تأتي إلاّ بالمشقة والإقدام والقتال لكنه يتلاءم مع تكوين عروة الصعلوك الفكري والنفسي، وإعلان شأن البطولة التي جبل عليها وأمثاله من الفرسان.

إن فكرة الموت ماثلة أشد المثول في ذهنية الشاعر الفارس، فالمعاناة النفسية الحادة التي أخفاها الشاعر فضحها هاجس الخلود، فاندفع الشاعر بكل ثقة لتأهيل فكرة الشجاعة بوصفها منهجا سلوكيا، وهو الذي دفعه إلى استعمال الأصوات المهموسة الخفية، التي تمثل عمق المعاناة النفسية لطموح الشاعر، وأن حقيقة الصراع الذي قوم داخل النفس الإنسانية هو المنطلق الذي رشح المسلك العام لحياة الانسان والذي يتجسد في قوله:

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 37.

كأنِي حِصَانُ مَالَ عَنْهُ جَلاَلُهُ أغرُّ، كريمٌ، حوله العُوذُ، راتع

فَمَا شَاب رأْسِي مِنْ سنن تَتابَعَتْ طِوالٍ، ولكنْ شيّبَته الوقائع[1].

إن محاولة إخفاء المعاناة النفسية هي المنطلق التي تمخضت عن هذا السلوك النفي الذي يعبر عن ذلك الصراع الحفي والمعاناة النفسية المتأرجحة بين الإقدام والإحجام، وهذا يستلزم كبتها في النفس واستعمال أصوات خفية رخوة تدركها الذات فقط.

إن الأصوات مرتبطة بحيوية ذات الشاعر وحركتها وسكونها، حيث ترتفع حدتها أثناء المشاهد الشعرية المتعلقة بالغزو والأحوال المادية، في حين ينخفض مستوى حركة الصوت عندما يكون متعلقا بحالة الشاعر النفسية، وعليه يمكن القول بأن الصوت له دلالة الحضور والغياب في جميع النصوص الشعرية حيث ينقلنا الشاعر من خلال الصوت إلى الجو الحربي المحتدم وغير المحتدم، الشيء الذي يزيد القصائد روعة وجمالا.

ب- دلالة القافية:

إن المتكلم العادي لا يواجه صعوبة في إنجاز الكلام، لأن هدفه هو الإبلاغ في حين يواجه الشاعر صعوبة في إنجاز كلامه، لأن لكلامه هدفا فنيا، ولأن كلامه يتخذ شكلا تعبيريا محددا بالبناء والعروض والقوافي، فللشعر خصائص بوصفه شكلا تعبيريا قائما بذاته يمتاز بخاصية الوزن والقافية.

القافية إجمالا في المقاطع الصوتية تكون في أواخر أبيات القصيدة، وهي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت، فأول بيت في قصيدة الشعر الملتزم، يتحكم في نص القصيدة من حيث الوزن العروضي ومن حيث نوع القافية[2]. إن القافية ترتبط بالمعنى الذي يود الشاعر الإفصاح عنه، كما أنها تكسب القصيدة نغمة موسيقية جديدة، كما تحوي هذه

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 48.

[2] عبد الله درويش: دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1978، ص 94.

القصائد على أهم جزء فيها وهو حرف الروي والذي تنسب إليه فإذا كان متحركا قيل عن القافية مطلقة وإذا جاء ساكنا قيل عنها مقيدة ومن أمثلة ذلك:

أيا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي نَاشبٍ عَنِي ومن يَتنْشِبْ[1].

فإن القافية في هذا البيت جاءت تتناسب وغرض الشاعر الذي يستوجب عليه توظيف القوافي الانفجارية الدالة على الأحداث التي تجري أثناء الغزوات والغارات.

وأما القافية المقيدة فمثال ذلك:

أقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي[2].

إن القافية في هذا البيت جاءت انسجاما مع الموقف الذي وردت فيه، فهو لا يحتاج إلى القوافي الانفجارية لأنها ترتبط بالغارة أو الغزو إنما هو يحاور زوجة.

تتكون القافية من حرف أساسي ترتكز عليه يعرف باسم الروي وهو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تبنى القصيدة وإليه تنتسب فيقال قصيدة رائية، وقصيدة ميمية، وقصيدة نونية...[3]. والروي هو الركيزة الأساسية الذي تنسب إليها القصيدة وبه تعرف وعليه تسمى.

1-قصيدة أيا راكبا:

أيا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي نَاشبٍ عَنِي ومن يَتنْشِبْ

أَكُلَّكُمْ مُخْتارُ دارٍ يَحُلُّهَا وَتَارِكُ هُدْمٍ لَيْسَ عَنْهَا مُذنَّبُ

× × × × × × × × × × × × × × × × × × × ×

فَإن شِئتُمُ عَنّي نَهَيتُم سَفيهَكُم وَقالَ لَهُ ذو حِلمُكُم أَينَ تَذهَبُ[4].

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص35.

[3] عبد الله درويش: دراسات في العروض والقافية، ص94.

[4] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 51، 52.

وقد توج حرف الباء الشفوي المجهور الانفجاري هذه المقطوعة رويا، حيث يبدو الباء مناسبا جدا لدلالات النص على الغضب والتبرم من تصرفات بني ناشب فشفويته (الباء) المحيلة إلى الخارج، وانحباس الهواء فيه ثم انطلاقه منفجرا أو جهره وهذا دليل على غضب عارم لدى عروة بن الورد ومبالغته في الأذى من الآخرين، وأن السيل بلغ الزبى، لذلك استعمل روي الباء لمخاطبة عقلاء القوم للعود إلى سبيل الرشد وإلا سوف تنشب حرب ضروس.

كما يدل حرف الباء على اجتهاد عروة بن الورد عن كظم غيظه وضبط نفسه إلى أقصى حد أي أن الغضب الشديد والتوعد الحازم والقوي لا يزلان في إطار السيطرة وهو أيضا يدل على ضبط النفس والتريث الشديد وعدم التسرع في الرد الفعل وانتظار قيام عقلاء القوم بدورهم وإن لم يفعلوا فسيقوم عروة بن الورد بنفسه بكف الذين يتهربون من مسؤوليتهم ومن يعينونه.

2- قصيدة: النفس أخوف:

أَرَى أُمّ حسَّانَ، الغَدَاةَ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ، والنَّفسُ أَخْوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَى: لَو أَقَمْتَ لسرّنَا ولَمْ تَدرِ أَنّي للمُقامِ أُطوّفُ

× ×

أَرَى أُمّ سِريَاحٍ غدَتْ فِي ظَعَائنٍ تَأَمَّلُ، من شَامِ العِراقِ، تُطَوِّفُ[1].

وقد توج حرف الفاء رويا لهذه القصيدة الدلالة من خلال تقابل الأسنان السفلى مع الشفة العليا عند نطقه، وهو تقابل طرف صلب قوي (الأسنان) وطرق مرن ضعيف وهي الشفة العليا، واللذان يدلان على جانبي الذات المتصارعة، جانب السعي المغامر الحثيف والمحفز نحو الغنى والذي يمثله الشاعر عروة بن الورد، وجانب الخوف من الهلاك وفشل

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 51، 52.

المسعى الذي تمثله زوجة عروة بن الورد (المرأة)، كأن صفة الاحتكاك والهمس في حرف الفاء تدل على ما لحق يقوم عروة بن الورد من ضعف ووهن وفشل جراء الجوع وانعدام سبل الاسترزاق، أما صفة التفشي التي يحملها حرف الفاء تدل على انتشار عروة بن الورد وقومه في جميع مسالك الأرض للبحث عن الخلاص من الفقر والجوع والحاجة، كما أنها توحي بترابط الأفراد وهي بذلك تؤكد على اجتماعهم مع بعضهم البعض وعلى أن مصيرهم واحد أي أن العلاقة بينهم هي علاقة دفء وتواصل وتكاثف وتكافل لا علاقة مصلحة.

3- قصيدة: أقلي اللوم:

أَقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي

ذَرِينِي ونَفسِي أُمَّ حَسَّانَ، إنَنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَّ أَمْلِك البَيعَ مُشْتَرِ

× ×

تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكِنَاسِ وتَشْتَكِي إلى كلِّ معروفٍ تراهُ ومُنْكَرِ

× ×

ذَرِيني أُطَوِّفْ فِي البلادِ لعلَّنِي أخَلِّيكِ أو أغْنِيكِ عن سُوءِ مَحْضَرِي[1].

يبدو حرف الراء مناسبا لهذه القصيدة ليكون رويا لها، حيث تتشكل الراء عبر مرحلتي سد مجرى الهواء فانفتاح سريع وهذا دليل على حالة الصراع الذي يدور داخل نفس عروة بن الورد بين الشق المؤثر بالإلحاح زوجته على ترك الغارات.

والمنادى بالسكون وعدم الحركة والأسفار، كحبس الهواء في المرحلة الأولى من نطق الراء والشق الثاني الدافع نحو المغامرة المفتوحة على المخاطر كإطلاق الهواء في المرحلة الثانية من نطق الراء قصد الكسب الوفير وبلوغ الغنى لنيل مكانة اجتماعية مرموقة في بيته وقومه.

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 35.

أما صفة الجهر الملتزمة بالراء فتدل على صيحة الشاعر المدوية في وجه الظلم القائم في مجتمعه جراء التفرقة بين الأفراد على أسس غير معقولة وغير إنسانية، من تهميش وانزواء وغلق المنافذ، كما أنها توحي إلى ما يترتب على الصعلوك المغامر من مواجهة واستعداد للحرب من أجل الغنى.

4- قصيدة: شيبته الوقائع:

تَقولُ أَلا أَقصِر مِنَ الغَزوِ وَاِشتَكى لَها القَولَ طَرفٌ أَحوَرُ العَينِ دامِعُ

سَأُغنيكِ عَن رَجعِ المَلامِ بِمُزمَعٍ مِنَ الأَمرِ لا يَعشو عَلَيهِ المُطاوِعُ

× ×

وَيَدعونَني كَهلاً وَقَد عِشتُ حِقبَةً وَهُنَّ عَنِ الأَزواجِ نَحوي نَوازِعُ[1].

لقد جاء حرف العين المتوسط بين الشدة والرخاوة رويا لهذه القصيدة ويدل تترد العين عن لسان المزمار في الحلق على قوة صداه التي توحي بتضافرها مع عمق مخرجه الحلقي قوة عروة بن الورد وحضوره البارز في المعركة وعلى افتخار الشاعر بقوته وبسالته فهو ليس كالذين يفرون من ساحة الوغى ويولون مدبرين، فهو وسيفه المصقول الحاد يواجه الفارس المدجج بالسلاح ويخلفه صريعا تتناوب عليه الحيوانات لتنهشه.

كما أن العين تدل على صلابة الشاعر وثباته في القتال عندما يفر الآخرون تماما كتكتل اللسان وارتفاعه في الفم واستدارة الشفتين التي تشكله بيضويا يوحي بمتعة عروة لقوته وشدة استبساله في القتال، وعليه فإن صفة الجهر التي يحملها حرف العين تدل على المرونة والوقوف في وجه الأعداء دون خوف وتردد.

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 48.

ج- دلالة الوزن:

تعريف الوزن: "هو الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسكنات في البيت الشعري، والوزن هو القياس الذي يعتمده الشعراء في تأليف أبياتهم ومقطوعاتهم وقصائدهم"[1]. وعليه فوزن البيت من الشعر أو تقطيعه هو تقسيمه إلى مجموعات صوتية وهو تجزئته من التفاعل –أي الأجزاء–التي يوزن بها بعد معرفة بحره على وجه الإجمال، وعند التقطيع مقابلة المتحرك بالمتحرك والساكن بالساكن.

من الملاحظ أن عروة بن الورد قد اعتمد في بناء قصائده ومقطوعاته على بحر الطويل، أنشئ هذا البحر من تفعيلتين هما: فعولن، مفاعيلن تكرران أربع مرات.

ضابطه: طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل.

1- قصيدة: أيا راكبا:

أيَا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بَنِي نَاشبٍ عَنِي ومَنْ يَتنْشِبُ[2].

أيَا راكِبنْ إِمْمَا عَرَضْتَ فَبَلْلَغَنْ بَنِيْ نَاشبِنْ عَنِي ومَنْ يَتنْشِشبُو

0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

[1] إيميل بديع يعقوب: المعجم المفضل في علم العروض والقافية وفنون الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 458.

[2] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 17.

2- قصيدة: أقلي اللوم:

أَقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي[1].

أَقِلّلَيْ عَلَيْيَا اللّوْمَ يا بِنْةَ مُنْذِرِ وَنامِي، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهيْ لنَّوْمَ فَسْهَرِي

//0/0 //0/0/0 //0/0 //0// //0/0 //0/0/0 //0/0 //0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

ذَرِينِي ونَفسِي أُمَّ حَسَّانَ، إنَنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِك البَيعَ مُشْتَرِ

ذَرِينِي ونَفسِي أُمْمَ حَسْسَانَ، إنَنني بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِك لبَيْعَ مُشْتَرِي

//0/0 //0/0/0 //0/0 //0// //0/0 //0/0/0 //0/0 //0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

3- قصيدة: شيبته الوقائع:

تَقولُ أَلا أَقصِر مِنَ الغَزوِ وَاِشتَكى لَها القَولَ طَرفٌ أَحوَرُ العَينِ دامِعُ[2].

تَقولُ أَلَاْ أَقصِر مِنَ لغَزوِ وَاِشتَكىْ لَها قَولَ طَرْفٌ أَحْوَرُ لعَيْنِ دَامِعُو

//0/0 //0/0/0 //0/0 //0// //0/0 //0/0/0 //0/0 //0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

سَأُغنيكِ عَن رَجعِ المَلامِ بِمُزمَعٍ مِنَ الأَمرِ لا يَعشو عَلَيهِ المُطاعُ

سَأُغْنِيكِ عَن رَجعِ لْمَلاْمِ بِمُزمَعِنْ مِنَ لأَمْرِ لَاْ يَعْشُوْ عَلَيْهِ لْمُطاْعُو

//0/0 //0/0/0 //0/0 //0// //0/0 //0/0/0 //0/0 //0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 51.

[2] المصدر نفسه، ص 48.

4- قصيدة: النفس أخوف:

أَرَى أُمّ حسَّانَ ، الغَدَاةَ ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ ، والنَّفسُ أَخْوَفُ[1].

أَرَى أُمْمَ حسْسَانَ لْغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوْوَفُنِ لْأَعدَاءَ ، ولْنَّفسُ أَخْوَفُو

0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

تَقُولُ سُلَيمَى: لَو أَقَمْتَ لسرّنَا ولَمْ تَدرِ أَنّي للمُقامِ أُطوّفُو

تَقُولُ سُلَيْمَى: لَو أَقَمْتَ لسرِرَنَا ولَمْ تَدْرِ أَنْنِيْ للمُقَامِ أُطُوْوفُ

0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0// 0//0//

فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ.

إن هيمنة التفعيلات السالمة على مستوى القصائد فيها إشارة ودلالة صريحة على طاقة الشاعر وقدرته الكبيرة على التزام النظام الجمالي الشعري على الرغم من أن النصوص الشعرية تتسم بكثير من الحركية والاضطراب، لأن الشاعر يصف تارة الحرب الضروس وتارة الحرب النفسية التي تنتابه وتركن في داخله، غير أن التزام عروة بن الورد بالقاعدة العروضية الموجبة لغلبة التفعيلات السالمة كل ذلك يجعل من الشاعر قادرا على مواجهة الأعداء في هذه الحروب بشعره بكل ثقة في النفس.

د- دلالة التكرار:

"إن التكرار في لغة النص الشعري ميزة بل سمة جوهرية في البناء الشعري لأنه وسيلة تعبيرية وتقنية فنية بالغة القيمة"[2]. فهو بالغ وممكن في كل مكونات لغة الشعر.

ولقد ورد التكرار في شعر عروة بن الورد في عدة جوانب وهي كالتالي:

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 35.

[2] وهب أحمد رومية: الشعر والناقد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 331، 2006، ص 39.

1-تكرار المعاني: ويتمثل في نقطتين مهمتين هما:

1-1- تكرار سفر الشاعر وكثرة تنقلاته بهمة باحثا عن الغنى.

1-2- تكرار لوم زوجته له وحثه على عدم العزو والإغارة والابتعاد عن المخاطر حيث يقول في قصيدة: أقلي اللوم.

أَقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي[1].

وقوله أيضا في قصيدة: النفس أخوف.

أَرَى أُمّ حسَّانَ، الغَدَاةَ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ، والنَّفسُ أَخْوَفُ[2].

وعليه يمكن القول بأن التكرار سمة مميزة ورافد من روافد الوظيفة الشعرية التي تتميز بها لغة الشعر عن لغة الكلام اليومي.

2-تكرار المفردات: التكرار اللفظي:

إن تكرار الكلمة أمر هام لا يمكن بتره عن السياق أو إهماله لأن دلالته قد تكون أكثر دقة في نتائجها، حيث يلجأ الشاعر إلى تكرار الألفاظ والمفردات لسبب ما في أبيات متتالية أو من مواضع متباعدة، ويأتي تكرار اللفظة الواحدة في القصيدة ذاتها ليعزز الإيقاع الذي يرسم الصورة النفسية بما تشتمل عليه اللفظة من معنى المعجم مع طول الاستعمال مع الصوت لتتداخل في الوقت الواحد أبعاد الموسيقي الداخلية في رسم الصورة الموسيقية كي تتعدى العلاقة الانفعالية بين جرس الكلمة ومعناها إلى تكرار المقطع واللفظة حيث ينقسم إلى قسمين:

2-1- تكرار الأسماء: لقد ذكر عروة بن الورد أسماء متعددة لزوجته فتارة باسم سليمى وتارة أخرى بكنية أم حسان وأم سرياح أو ابنة منذر وهذا التكرار دلالة على نفسية عاطفية

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

تتعلق بمشاعر الشاعر المحب، ولا سيما إذا كان هذا الحب محروما يعز فيه اللقاء بحكم أن عروة بن الورد في أغلب الأوقات يكون في الغزوات والحروب، فهو بهذا التكرار يزيد من صلابة النص وقدرته على الإقناع والتوصيل بغرض تكريس الفكرة وتثبيتها.

2-2- تكرار الأفعال: ومن أمثلة هذا النوع ما لاحظناه في قصيدة "أقلي اللوم" حيث نلمح تكرار الأفعال بصيغ مختلفة مثل:

أمسى\ يمسي	بيت: 3 \ 13
ذرني مرتين	بيت: 2 \ 5
فاز مرتين	بيت: 6 \ 7
نامي\ ينام	بيت: 1 \ 15
رأته\ أراك\ أرى	بيت: 4\ 9 \12
يلق \ يلقها	بيت 20
أصاب \ يصيبك	بيت: 14 \ 10
أغنيك\ يستغن	بيت: 5 \ 20
يعين \ يستعنه	بيت: 16

ومنه كذلك تكرار الفعل ومصدره مثل قول عروة بن الورد:

أرَى أُمّ حسَّانَ، الغَدَاةَ، تَلُومُنِي تُخَوّفُنِي الأعدَاءَ، والنَّفسُ أَخْوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَى: لَو أقَمْتَ لسرّنَا ولَمْ تَدرِ أنّي للمُقامِ أُطوّفُ

لَعلَّ الذي خوّفتِنا من أمَامِنَا يصادفُه، فِي أهلِهِ، المتخلّفُ [1].

ومن هنا يمكننا القول بأن قيمة كل عنصر بنائيا تكمن على وجه التحديد في كفية اندماجه وتصاعده مع ما يليه فتكسب بذلك الصيغ أهمية خاصة فيصبح تكرارها ليس مجرد

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 51.

توقيع موسيقى، بل هو إمعان في تكوين التشكيل التصويري للقصيدة فمن خلال التكرار يتمكن الإيقاع الصوتي المشاركة في موسيقى الشعر وذلك لأنه يعني نمطا تتردد فيه الوحدات الصوتية.

3-تكرار القافية والروي:

3-1- القافية: يأتي التكرار أيضا في القوافي الذي يؤدي دورا تنظيميا في القصيدة دلالة على ترابط أبيات القصيدة ببعضها البعض وإحداث انسجام صوتي وتناسق نغمي في النص الشعري لقوله:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي

ذَرِينِي ونَفسِي أُمَّ حَسَّانَ، إنَنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِك البَيعَ مُشْتَرِ[1].

حيث تبدو القافية اهم عنصر تتوازى به الأبيات في قصائده، فهي عنصر بناء بارز فيها قائم على التكرار الذي بواسطته تترابط أجزاء النص ببعضها البعض مما يؤدي إلى تنامي النص وتناسله واستمراره، ويخلق وضعا شديد التعقيد داخل النص مما يؤدي إلى خلق توتر جمالي.

3-2- الروي: لقد عمد عروة بن الورد إلى تكرار حرف الروي في كل قصائده، وخص كل واحدة منها بروي خاص بها، حيث تلاحظ تكرار كل من روي: "راء"، "الفاء"، "اللام" ،"الحاء"، "العين"... وغيرها، وذلك لأن تكرار الروي يحدث جوا إيقاعيا عاما للقصيدة ويؤثر على المتلقي ويعكس تجربة الشاعر الانفعالية التي يعيشها، وبين صلته الوثيقة بالمعنى العام للنص.

إن الأمور التي صنعت الموسيقى الداخلية في شعر عروة بن الورد هو التكرار بكل أنواعه والذي كان له الدور الفعال في لفت انتباه القارئ والسامع.

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 35.

ثانيا: الحرب والصورة الشعرية:

تعد الصورة الشعرية ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي، وعنصر مهما من عناصر البناء الشعري، فهي تمثل جوهر الشعر، وأهم وسائط الشاعر في نقل تجربته الشعرية والتعبير عن واقعه وخياله، ففي هذه الصور يعمد الشاعر إلى كلمات القوة والمعاني التصويرية الفطرية في اللغة العربية، بما يثبته في لغته من صور وخيالات وذلك بما تنطوي عليه من أبعاد جمالية مؤسسة على الشعرية وبلاغة المجازات والاستعارات والكنايات والرموز، فاعلية مؤثرة في البنى النصية وذلك لقدرتها على إخفاء المعنى وراء إشارة مضللة فهي ذات ملمحين هامين هما الناحية البنيوية الشمولية، والناحية الوظيفية التكثيفية للغة.

ولقد عرفها محمد فكري الجزار بقوله "يرتبط مفهوم الصورة الشعرية برؤية الشاعر للعالم الموضوعي، ودور الخيال عبر موهبة وكفاءة الشاعر، وهو مفهوم يتكئ على منظور يتماشى مع النشاط الفلسفي، فالصورة الشعرية تشكيل لمعطيات عمليتين تمثلان جناحي الوعي الإنساني بنفسه وبعامله هما عمليتا الإدراك والتخيل"[1]. فالصورة الشعرية تمثل طريقة مميزة في عرض الأفكار، مما يجعلها تشد انتباهنا للمعنى ونتفاعل معه بشكل خاص، فهي وسيلة الشاعر الخاصة لتكوين رؤيته وتحديد موقفه إزاء المواقف الحياتية المختلفة، وذلك عن طريق استخدام الألفاظ والعبارات والحقيقة والخيال، والموسيقى مع مزج ذلك بعاطفة الشاعر ووجدانه.

فالصورة الشعرية "فهي كل تعبير شعري ينقل إحساس الشاعر إلى المتلقي فثير انفعاله ويحرك مخيلته ويؤثر في فكره ووجدانه بحيث يجبره على الاستجابة العاطفية أو النفسة

[1] محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص192.

المطلوبة"[1]. فهي تجعل المتلقي أمام عدة لوحات فنية متعاقبة تجسد مناظر ومواقف ومشاعر مختلفة، فهي طريقة في الكلام تقوم على علاقة المشابهة كما هو الحال في الاستعارة والتشبيه أو على علاقة المجاورة كما هو الحال في الكناية.

أ- دلالة التشبيه:

يعتبر التشبيه عنصرا هاما من عناصر الصورة الشعرية وقد كان للتشبيه دور بارزا في نسيج القصيدة العربية على أنه يحرص على التمايز والوضوح بين الأشياء، إن التشبيه يتنقل بنا من وصف الشيء نفسه إلى وصف شيء آخر طريف يشبهه أو صورة رائعة تمثله وتوضحه، وتقوم الصورة التشبيهية على ركنين أساسيين هما المشبه، والمشبه به، وكذلك تقوم على عاملين مساعدين هما أدوات التشبيه ووجه الشبه.

1- **تعريف التشبيه لغة:** "هُوَ بَيَان أَنَ شَيْئا شَاركَت غَيْرَهَا فِي صِفَةٍ أَوْ أَكْثَرْ بِأَدَاةٍ هِيَ الكَافُ أَوْ غَيْرُهَ مَلْفُوظَةٍ أو مُقَدَرَةٍ والتَشْبِيهُ والتَمْثِيلُ فِي اللُغَةِ مُتَرَادِفَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدُ وَهُوَ بَيَان وُجَودِ صِفَةٍ أَو أَكثَرْ فِي المُشَبَهِ مُشَابهَةً لِمَا يَظْهَر مِنْ صِفاتٍ في الُشَبَهِ بِه وَ التَشَابُهُ اشْتَرَاكُ شَيْئَين فَأَكْثَر في صفة أَو صِفَاتٍ مُتمَاثِلاَتٍ"[2]. أي أن التشبيه طرفان جمعت بينهما أداة من ادوات التشبه زيادة على ذلك اشتراك في الصفة المتشابهة.

2- **اصطلاحا:** " التشبيه علاقة مقاربة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين طرفين مقارنين دون أن يكون من الضروري

[1] رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر،(د، ط)، 2006، ص151.

[2] عبد الرحمان حسن الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار العلم، دمشق، سوريا، ج6، ط1، 1996، ص 161.

أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"[1]. وعليه فهو يقوم على طريقة المقارنة بين الطرفية المتشابهين بإظهار أوجه الاشتراك والاتحاد بينهما.

الصور التشبيهية عند عروة بن الورد تعددت أنماطها وصورها حيث استعمل أداة التشبيه كأن والتي اختصت بالتشبيهات التمثيلية، وذلك من خلال قوله:

كأنِي حِصَانُ مَالَ عَنْهُ جَلاَلُهُ أغرُّ، كريمٌ، حوله العُوذُ، راتع[2].

لقد أثبت الشاعر في هذا البيت تجسيد شدة الفخر والمغالاة في البحث عن طريقة في تخليد الذات في هذا الوجود من خلال إظهار شجاعته وطموحه الكبير في تجسيدها من حيث أنه شبه نفسه بحصان، فذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه (كأن) ووجه الشبه الكرم والعزة والجلال.

كما اعتمد عروة بن الورد على نوع آخر من أنواع التشبيه ألا وهو التشبيه البليغ والذي لم ترد فيه أدوات فهو معروف بأنه أقوى أنواع التشبيه على الإطلاق فحذف الأداة، يجعل من المشبه يرتقي إلى منزلة المشبه به حتى نحس اقترابهما من درجة الاتحاد أو أن المشبه قد أصبح عينه المشبه به وهذا بطبيعة الحال من درجة الاتحاد أو أن المشبه قد أصبح عينه المشبه به وهذا بطبيعة الحال يزيد المعنى قوة وصلابة وتثبيتا لصورة المشبه في ذهن المتلقي كقوله:

أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صُبَّرِ[3].

يلجأ إلى ذكر الأداة ووجه الشبه، فهذا أبلغ وكافي لوصول المعنى المراد.

---

[1] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص 172.

[2] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 48.

[3] المصدر نفسه، ص35.

وكذلك قوله:

لَبُوسٌ ثِيابَ المَوتِ ، حَتَّى إلى الذي يُوائمُ إمَّا سَائِمٌ ، أَو مُصَارِعُ[1].

ثياب الموت: تشبيه بليغ فالموت مثل اللباس فالشاعر شبه الموت كلباس يلبس البشر فذكر المشبه والمشبه به، وحذفت الأداة وكذلك وجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ.

لقد قلت تشبيهات عروة بن الورد غير أنها جاءت متناسقة متلاصقة تدل على شحنات عاطفية تتسلط بجمالها على الوجدان المتلقي فتجعله يعيش التجربة بتفاصيلها فهي تشبيهات تدل على عبقرية فذة لدى عروة بن الورد وإبداع ينم عن أصالة في الطابع وخصوبة في الخيال وذلك لاعتماده على التمثيل من عناصر وجزئيات مكونة لها، وتفصيلات تركيبية أو حركية لتقوم بدورها الذي وظفت لأجله من توضح ما سبقها وتفسره وتأكده وبيان ما خفي منه، أما التشبيه البليغ فهو يدل على قوة وصلابة المعنى.

ب- دلالة الاستعارة:

إن الصورة الاستعارية في شعر عروة بن الورد أخذت قسطا وافرا وأهمية كبيرة لهذا النوع من التصوير وقد كانت أكثر حظا من الصور. التشبيهية من حيث الوفرة والاهتمام بجودة التصوير فيها، والتي عرفت بأنها على العموم هي أخذ الشيء لوقت وجيز وإعادته لأهله.

وتعرف الاستعارة كذلك: " بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصر لكنها أبلغ منه"[2]. فهي تشبيه غرضه نقل المعنى واستعماله في غير موضعه مع ذكر وترك قرينة دالة، ولقد وردت في كل القصائد والمقطوعات في شعر عروة بن الورد ومنها قوله:

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 48.

[2] الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، (د، ط)، ص 258.

إِذَا قُلتُ: قَد جَاءَ الغِنَى، حَالَ دُونَه أبو صِبيةٍ، يَشكُو المفَاقِرَ، أَعجَفُ[1].

قد جاء الغنى: استعارة مكنية، حيث شبه الغنى بشخص يجيء، فحذف المشبه به وأبقى على أحد لوازمه (الفعل جاء) على سبيل الاستعارة المكنية وكذلك قوله:

ذَرِينِي ونَفسِي أُمَّ حَسَّانَ، إِنَنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَّ أَمْلِك البَيعَ مُشْتَرِي

أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صُبَّرِ[2].

ففي عبارة "مشتري أحاديث تبقى" شبه الشاعر الذكر والأحاديث والحديث عنه والمجد الذي حققه في حياته بسلعة تشترى فذكر المشبه وحذف المشبه به، وترك قرينة هي مشتري على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك قوله:

تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكِنَاسِ وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمُنْكَرِ[3].

وعليه فهو شبه أحجار الكناس بإنسان يتكلم ويجيب، فالحجارة تجيب بالصدى، فذكر المشبه وحذف المشبه به وترك قرينة هي الفعل (تجاوب) على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارات المكنية كذلك قوله متحدثا عن زوجته التي تحدثه على الكف عن الغزو خوفا عليه من الموت وحفاظا على حياته إذ يقول:

تَقُولُ ألاَ أَقصرْ من الغَزو، واشتَكَى لَهَا القولَ، طَرفٌ أَحوَرُ العَينِ دَامِعُ[4].

لقد أبدع الشاعر في نسج خيط هذه الصورة فجاءت جميلة مؤثرة، قوية الإيحاء دلالة عن شدة خوف وحرص هذه المرأة على زوجها وقد أجاد عروة بن الورد توظيف الاستعارة في بناء صورته، فجعل من طرف عين هذه الزوجة إنسانا يشتكي القول لها، ويشد بعضدها

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص 48.

ويقف إلى جانبها في مطلبها وقد أتبع هذه الاستعارة بصفات تقريرية للمشبه تتمثل في صفتي أحور وأدمع.

إن استعارات عروة بن الورد تدل على قدر كبير من الأصالة والإبداع حيث صب فيما صاحبها جهدا فنيا كبيرا حتى تخرج على أحسن هيئة وهذا للدلالة على تبادل التأثير والتأثر وإحداث تفاعل وتوتر بين طرفيها. "المستعار منه" و"المستعار له" ليخلق بها شيئا جديدا.

ج-دلالة الكناية:

تعد الكناية ركيزة من ركائز الصورة الشعرية التي يعمد إليها الشاعر فلها دورا بارزا في بناء القصيدة لأن من خلالها يتلاعب المؤلف بالألفاظ من أجل إخراجها في قالب جديد.

1-**تعريف الكناية: لغة:** " كنى فلان، يكني عن كذا، وعن اسم كذا، إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه"[1]. فمن إعطاء اسم غير الاسم الحقيقي.

2-**اصطلاحا:** "هي اللفظ المستعمل فيها وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة على معنى آخر لازم له، أو مصاحب له، أو يشار به عادة إليه، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه"[2]. وعليه فهي تستعمل للتخاطب للدلالة على معنى آخر مرتبط بالمعنى الأصلي.

لقد أخذت الكتابة جانبا كبيرا من صور عروة بن الورد الشعرية وقد اعتمد عليها بكثرة في بناء قصائده إذ لا تخلو أي قصيدة من قصائده منها، ومن ذلك قوله:

لَهُ خَلّةٌ، لا يدخلُ الحَقُّ دُونَهَا كَرِيمٌ أَصَابَته خُطوبٌ تُجَرّفُ[3].

في قوله " أصابته خطوب تجرف": كناية عن صفة، التي هي شدة الفقر والمعاناة فهو هنا يشير إلى أن الكرم والجود يأتي من العيش الكريم، والفقير لا يستطيع أن يحقق الكرم.

---

[1] نعيم علوية: نحو الصرف ونحو المعنى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 66

[2] عبد الرحمان حسن الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 135.

[3] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 17.

وقوله أيضا:

تَقُولُ سُلَيمَى: لَو أَقَمْتَ لسرّنَا ولَمْ تَدرِ أَنِّي للمُقامِ أُطوّفُ[1].

فزوجته تقول له: لو أنك ظللت مقيما بيننا لكان هذا مدعاه سرورا فيجيبها بأنه كي يظل مقيما لابد له أن يجوب الصحراء ويطوف بها كناية عن الالتزام بأسباب الرزق والمعاش.

وكذلك قوله:

ذَرِيني أُطَوِّفْ فِي البلادِ لعلَّنِي أُخَلِّيكِ أو أُغْنِيكِ عن سُوءِ مَحْضَرِي[2].

فعروة بن الورد هنا يعني بها أنه يكفي زوجته عن طلب الصدقة من الغير فتبقى معززة مكرمة، "لعلني أخليك": كناية عن صفة هي موته وقتله.

ويواصل عروة بن الورد في استعمال الكنايات في قصائده ومقطوعاته ومنها أيضا قوله:

فجوعٌ لأهلِ الصالحينَ، مَزَلّةٌ مَخوفٌ رَداها أن تُصِيبكَ فاحذر [3].

(كناية) عن موصوف هم أهل المعروف وأصحاب المعالي والشرف.

وقوله:

أَبَى الْخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءِ الْمَعَاصِمِ تَعتَرِي [4].

إن عروة بن الورد في هذا البيت يوجه كلامه إلى زوجته قائلا إني إذا ما قعدت عن السعي والكسب فإنه لن يبقى لديك ما تعينين به ذوي القرابة ممن يدقون بابك وقد جعل عروة بن الورد هذه المرأة سوداء المعاصم كناية عن الفقر والجدب الذي يعيش فيه.

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص51.

[3] المصدر نفسه، ص36.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويقول في موضع آخر:

فَمَا شَابَ رَأسِي من سِنينَ، تَتَابَعتْ طِوالٍ، ولكنْ شيّبَتهُ الوَقَائِعُ[1].

ويشبته الوقائع: كناية عن كثرة المعاناة التي جعلته يشيب قبل وقت المشيب.

لقد كان عروة بن الورد أكثر من استعان بالكناية في رسم صوره، وهي صور لم تكن غريبة أو صعبة الفهم وإنما جاءت بسيرة واضحة قصدت إلى المعنى بأسلوب لطيف خال من التعقيد اللفظي والمعنوي وهي بصفة عامة معاني دالة على الظروف السائدة في العصر الجاهلي ولكن الشيء المخصوص فيها هو كونها جاءت مشتقة أو مألوفة.

إن المصدر الأساسي الذي استمد منه عروة بن الورد مادته للصور التشبيهية والاستعارية والكنائية ذات الطابع الحسي هي تلك البيئة البدوية القاحلة التي عاش في خضمها، متأثرا بتلك الغزوات والغارات التي كان بها، والهدف منها بحثا عن الغنى والعيش الكريم والمكانة المرموقة داخل مجتمعه.

ثالثا: دلالة الحرب في شعر عروة بن الورد:

استقى الشعراء لبنات دلالاتهم من الحرب التي شكلت الوعي لديهم فكانت مصدر إلهامهم، ومثار إحساسهم، ومشاعرهم وخير مترجم لمختلف صراعاتهم وغزواتهم وإن كانت تبدو غامضة قوية ذات طابع عدواني إلا أن الإنسان صبها في قوالب تعبيرية فنية رصينة.

أ- الحرب والرجل:

مثلما عبر الشعر الجاهلي عن الحياة الجاهلية في شتى مناحيها استطاع إبراز مظاهر البطولة التي كان يتمتع بها الرجل في المجتمع الجاهلي فقد كانت له مكانة عالية بصفته الفارس المغوار الذي يذود عن حمى القبيلة ويقدم الغالي والنفيس من أجلها، والبطولة مظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية التي تمتاز بالشجاعة والمثل العليا، وبما يقدمه هذا البطل

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص 48.

للمجتمع، وقد جسد عروة بن الورد الرجل المغوار في غزواته وحروبه فهو دائما على استعداد تام للقتال والتهيؤ للمعركة حيث يقول:

وَإِنْ شِئْتُمُ حَاربتُمُونِي إِلَى مَدًى فَيَجهَدُكم شَأوُ الكِظاظِ المُغرّبُ

فَيلحَقُ بِالخَيْرَات مَنْ كَانَ أَهلُهَا وَتَعلمُ عَبسٌ رَأسُ مَنْ يَتَصوب[1].

فهو بهذا احتل رقعة واسعة في مجتمعه وقومه في سبيل الفقر والوهن الذي كان يعاني منه قومه وعلى الرغم من أنه كان صعلوكا إلا أنه كان يؤمن بأن الإقدام في الحرب لا ينقص عمر المتقدمين وأن الإحجام عنها لا يزيد عمر المتأخرين، وإن الذي يطلب الموت توهب له الحياة، وأن المنية الحقة التي تكون في خضم المعركة لينال البطل لعدها الشرف العالي وليست المنية التي تلحقه جراء الجوع وقلة سبل الاسترزاق حيث يقول:

لَعلَّ الذي خوّفتِنا من أمَامِنَا يصادفُه ، فِي أهلِهِ ، المتخلّفُ

إِذَا قُلتُ : قَد جَاءَ الغِنَى ، حَالَ دُونَه أبو صِبيةٍ ، يَشكُو المفَاقِرَ ، أَعجَفُ [2].

وقوله أيضا:

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ للمَنية لَم أَكُن جَزُوعًا، وَهَل، عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأخِرٍ[3].

فإن موقف الرجل البطل في الحروب يصور لنا الحركة التي تظهر موجات مستمرة من القتال وقوة بطشهم فهي تغذي شعلة الحرب وتزيد شدة قوتها ويبقى موقعها محظورا في الأذهان وذلك لوقعها البليغ والقوي وخير دليل قوة عروة بن الورد في الأبيات التالية:

كَأنِّي حِصَانٌ مَالَ عَنهُ جِلالُه أغرُّ ، كَرِيمٌ ، حَولَه العُوذُ ، رَاتِعُ

فَمَا شَابَ رَأسِي من سِنينَ ، تَتَابَعتْ طِوالٍ ، ولكنْ شيّبَتهُ الوَقَائِعُ [4].

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص51.

[3] المصدر نفسه، ص36.

[4] المصدر نفسه، ص48.

ولهذا كان الرجل يتسم بالقوة والشجاعة والإقدام وأن يكون فارسا لا يرضى بالهزيمة من طرف خصمه، إذ يجب أن يكون على دراية تامة بفنون الحرب والقتال ليتمكن من الفوز والنصر على خصومه وأعدائه ويترك جثتهم هامدة في الصحراء.

فالحرب هي المرآة العاكسة لقوة وشجاعة الفارس المغوار الذي لا يهاب المحن، وعلاقة الحرب بالرجل هي علاقة حياة أو موت، فالرجل هو الذي يشعل ويطفئ فتيل الحرب ويقدم عليها فهو دائم السعي عن الغنى الدافع الكامن وراء الحروب والغارات والغزوات التي كان يقدم عليها عروة بن الورد بصفته رجل محارب، فالحرب هي التي تكشف معادن الرجال والأبطال.

ب- الحرب والمرأة:

تبدو صورة المرأة فاعلة وجلية في الشعر الجاهلي بشكل عام إذ أننا نجد على سبيل المثال لا الحصر حضور المرأة التي تلوم الزوج أو الرجل على إفراطه في الحب والكرم أو على إقدامه على الموت في الحروب، ويبدو أن هذه الصورة الواقعية للمرأة لا تنسجم والحال مع صورة المرأة عند الصعاليك، لأن حضور المرأة عندهم ليس حقيقيا بقدر ما هو رمزي يعبر عن رؤاهم وتصوراتهم للمجتمع والحياة، فالمرأة في حياة الشاعر الصعلوك ليست الزوجة أو الحبيبة التي تدفع إلى التعقل والركون إلى السكون والدعوة إلى الاستقرار فقط وإنما هي نسق ثقافي مضمر يجسد حقيقة الصراع بين الصعلوك والقبيلة ومن النصوص الشعرية التي تجلي دور المرأة عند عروة بن الورد قوله:

أَقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي
ذَرِيني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ، إنني بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَرِي
أحاديثُ تَبْقَى والفَتى غيرُ خالدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صَيّرِ[1].

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص35.

حيث تقدم لنا هذه الأبيات تصورا فلسفيا للشاعر الصعلوك حول جدلية الموت والحياة من خلال الصراع مع المرأة العاذلة حيث تكشف لنا صيغ ... أقلي اللوم، ذريتي ونفسي... عن حضور الذات التي ترف صوت البقاء وترك الحروب. فالشاعر يخاطب (ابنة منذر/ أم حسان) وهما رمز أنثوي يشير إلى تغاير الأسماء نسبة إلى قبيلة الصعلوك الذي طالما توجهت إليه باللوم والنقد سبب تمرده على ما تواضعت عليه من قيم وأعراف، حيث نفهم من خلال خطاب عروة بن الورد للمرأة أنها تتسم بالقسوة والإلحاح الدائم حيث دعاها إلى النوم رغبة منه في التخلص من سلطان لسانها ولكننا نراه سرعان ما يتراجع عن فكرة النوم ليعزز فكرة السهر التي تمثل حالة من اللامبالاة عنده، الصعلوك يعاني من ديمومة العتاب، وفي نفس الوقت رغبة في أن تبقى مستيقظة لتفعيله، والذي ينجم عنه صراع حاد بين صوت عروة بن الورد وصوت المرأة الزوجة رؤيتان مختلفتان إزاء مفهوم الموت والحياة أو لنقل صورة حب الموت، الصورة المثالية للخلود الإنساني في حين ترى المرأة في هذا الموت إزهاقا للنفس وفادحة لا يقبلها العقل.

فعلى الرغم مما قدمه الشاعر من مسوغات تبيح له الإقدام على الموت من خلال ثقافة البطولة أو الصعلكة، فإننا نجد صورة المرأة العاذلة في النص لا يبتعد عن ظهور فعل تكريس سياسة اللوم المرسوم بالتهديد أحيانا ومن ثم التحذير من نتائج المخاطرة بالنفس والمال أحيانا أخرى وذلك من أجل ثني الشاعر عن دخول العالم الجديد حيث يقول عروة بن الورد:

تقُولُ لكَ الوَيْلاتُ هلْ أنتَ تارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تارةً وبِمِنْسَرِ
وَمُسْتَثْبِتٌ فِي مَالِكَ الْعَامَ إِنَّنِي أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صَرْمَاءَ مُذْكِرِ[1].

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص36.

فالمرأة العاذلة هنا ستحدث القوة الكلامية بما تنطوي عليه من نقد وتوبيخ شديدين، لكي تولد في الشاعر نفسه إحباطا يجعله يرضخ في نهاية المطاف لسلطانها وذلك من خلال وضع الشاعر في دائرة الخوف والرهبة حتى تبعده عن حدث المجازفة الذي قد يقضي به إلى المجهول إلا أن عروة بن الورد تمكن من قمع صوت المرأة من خلال توجيه نظرها إلى قيمة الحياء..."فاقني حياءك"... وهي جملة ثقافية دالة على حقيقة الإرادة عند الذات الفحولية المتصعلكة التي تحرص دوما على إثبات حضورها واستعلائها ودليل ذلك قوله:

أَبَى الْخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءِ الْمَعَاصِمِ تَعتَرِي

وَمُسْتَهْنِئٍ زَيْدٌ أَبُوهُ فَلاَ أَرَى لَهُ مَدْفَعًا فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ وَاصْبِرِي [1].

فالمرأة تمثل الخوف من الموت والحرب فهي بمثابة جدار لحماية زوجها، غير أن عروة بن الورد يرى بأن المصير واحد وإن اختلفت الأسباب، ومادام لأمر كذلك فلا مناص له من حياة الغزو والمخاطرة لأن نفسه أكبر من أن تنتظر الموت حيث يقول:

فذلكَ إنْ يَلْقَ المنيّةَ يلْقَها حَمِيداً وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فأجْدِرِ

أيهلك معتم وزيد ولم أقم على ندب يوماً ولي نفس مخطر

ستفزع بعد اليأس من لا يخافنا كواسع في أخرى السوام المنفر [2].

وتبقى المرأة العاذلة تحاول استخدام وسيلة أخرى لتثنى الصعلوك عن رحلة الغزو والتشرد فهو تتخذ من جمالها وأنوثتها وقوتها حيلة معلى الشاعر لإبعاده عن عالمه وإحداث القطيعة بينهما حيث يقول عروة بن الورد:

تقولُ: ألا أقصرْ من الغزو، واشتكى لها القولَ، طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ

سأُغنيكِ عن رَجعِ المَلام بمُزْمِعٍ من الأمر، لا يعشو عليهِ المطاوع

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص36.

[2] المصدر نفسه، ص37، 38.

لبوس ثياب الموت حتى إلى الذي يُوائمُ إمّا سائمٌ، أو مُصارع [1].

ومن خلال هذه يتضح لنا بأن المرأة العاذلة في الحروب كانت بمثابة الشخصية المتزنة التي تبحث عن الاستقرار من خلال المشاركة الفعلي لحياة الرجل الذي لا يرضيها في بعض الأحيان، وهذه الصورة تكشف عن قيمة المرأة ودورها في التوجيه السلوكي للرجل في الحروب والغارات والاغارات، كما أن المرأة تقوم بكبح جماح الرجل وتعطل طاقاته وتدعوه إلى الرجوع ثانية إلى كنفها والرضى بما تعرضه عليه قسوتها كصوت المجتمع الذي يحاول إعادة عروة بن الورد المتمرد إلى النسق الجمعي بما ينطوي عليه من أعراف ومبادئ ومحرمات

لقد وظف عروة بن الورد المرأة في شعره كصبغة نسقيه تعبر عن فداحة إحساسه بالظلم والهامشية في نطاق قبيلته، فرحلة المرأة في نص الصعلكة إشارة مضمرة إلى تخلي القبيلة عن ابنها الصعلوك الأمر الذي جعله يقف وحيدا في مواجهة أعباء الحياة وتعقيداتها وهو ما دفعه إلى جعل المرأة وسيلة تدافع عنه في الحروب وتحثه عليها فالمرأة رسالة تتمثل أساسا في ضرورة طلب السلم.

ج- الحرب وثنائية الفقر والغنى:

لم تغب قضية الفقر عن المجتمعات القديمة، فهي نتاج طبيعي لاختلال انسجام الوظائف الاجتماعية وعدم توازنها، لأن للمجتمع بنياته الوظيفية الجمعية، وتسبب عوامل أهمها الفقر تتولد رؤى فردية أو فئوية طبقية تؤدي إلى خلخلة المجتمع وتخلف وراءها توترات اجتماعية تؤججها غيبة العدالة في توزيع الثروة أو السلطة فالفقر ليس نقصا في الداخل فحسب، ولكنه أيضا تهميش لطبقة من المجتمع وحرمان لها من المشاركة في صنع القرار ومن هنا تتولد الصراعات داخل المجتمع وعليه قوله:

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص48.

لَهُ خَلّةٌ ، لا يدخلُ الحَقُّ دُونَهَا كريمٌ أصابَته خطوبٌ تُجَرِّف[1].

فإن الفقر هو الذي دفع الصعاليك للإغارة والغزو والاقتصاص من أموال الأغنياء فقد كان الجوع عندهم طريقا إلى الموت والهلاك، فالفقر هو التحدي الأكبر الذي واجهه الفرد المنتبذ خارج دائرة القبيلة، فشعور الفقراء بالعجز إحساساهم بالغين وعدم قدرتهم على المخاطرة بأهلهم، أوجد لديهم أساليب مختلفة لكسب المال من لأجل تحقيق غاياتهم وتوفير متطلبات الحياة وكسر الفوارق الاقتصادية والاجتماعية، ولذلك تحول الفقر من مشكلة مادية إلى هم إنساني يصاحبه الكثير من الألم، ولقد كان عروة بن الورد أدق من رصد مشاعر التمرد والاحتجاج على التفاوت الاجتماعي.

إن غياب المال يدفع أصحابه للبحث عنه في كل مكان وهذا ليس من أجل سد جوع عائلة الصعاليك فحسب إن هدفه منصب على تحريرهم من الإقصاء والتهميش ومن أجل ذلك يقول عروة بن الورد:

فإنّي لمُستاف البــلاِد بِسُـــرْبَةٍ مُـبلغُ نفسي عُذرَها، أو مُطوَّفُ

رأيتُ بني لُبنى عليهم غضاضةٌ بيوتُـهمُ، وسطَ الحلـولِ، التَّكَنُفُ [2].

فهنا عروة بن الورد يريد تحقيق العدالة وهو على استعداد ليدفع حياته ثمنا لها في الغزو والإغارة والسلب والنهب لم يعد عنه غاية وإنما أصبح وسيلة غايتها تحقيق نزعته الإنسانية وفكرته الاشتراكية، وعليه فإن الفقر هو دافع الحروب التي كانوا يقدمون عليها بغرض العجالة في توزيع الثروة والمساواة في الحقوق.

وعليه يمكن القول بأن البيئة التي تحتقر الفقير هي التي أنشأت لديهم عقدة سميت عقدة الفقر، فكان عليه إيجاد حل لذلك فلجأ إلى الحرب فيغزو ويغير ويسلب وينهب ليعود

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص56.

[2] المصدر نفسه، ص52.

غنيا ويعيش حياة طبيعية، حتى أنه لا يبالي إن مات في سبيل الغنى والتصدي للفقر من أمثلة ذلك قول عروة بن الورد:

لَبوسٌ ثيابَ الموتِ، حتى إلى الذي يُوائمُ إمّا سائمٌ، أو مُصارع[1].

وقوله أيضا:

إذا قلتُ: قد جاء الغنى ، حال دونَه أَبو صِبيةٍ يَشْكُو المفاقِرَ أَعْجَفُ [2].

إن في هذه الأبيات تعبير عن الإحساس بالفقر وحب الغنى، ونظرة الاحتقار التي يعاني منها عروة بن الورد من قبل المجتمع، فالحرب تؤدي إلى البأس واليأس والاضطهاد والحرمان ومن هنا كان تعبيرهم عن الفقر مرتبط بتعبيرهم عن الحرب، وعليه فإن علاقة الحرب والفقر هي علاقة تداخل فهما وجهان لعملة واحدة وهي الموت.

د- الحرب والحيوان:

لقد كان الشاعر الجاهلي يعيش حياة بدوية صحراوية تسيطر عليها الحيوانات المفترسة، حيث يراها في حله وترحاله، ويرى مدى خطورتها وقوتها وبشاعتها وافتراسها لذلك استخدم قسوتها وافتراسها وأنيابها ليصور بها الحرب، فالحرب حيوان مفترس يبدي نواجده والحيوان لا يبدي هذه النواجد إلا إذا كان غاضبا يريد السيطرة على فريسته، وهكذا الحرب تريد السيطرة والاقتباس والقتل.

الحرب تترك من بعدها آثار ومخلفات قاسية وكأنها حيوان مفترس نهش لحمك من عظمك وقد قال عروة بن الورد عن هذه الآثار ما يلي:

أَكُلُّكُمُ مُختارُ دارٍ يَحُلُّها وتاركُ هُدْمٍ ليس عنها مُذنَّبُ[3].

---

[1] عروة بن الورد والسموأل: الديوان، ص48.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هذا دليل على الأثار التي تتركها الحروب والمتمثلة في كثرة الدماء المهدورة كما نجد صورة الحرب ترتبط بالحيوان ليتمكن من إظهار تواجدها للافتراس وإشعال نيرانها في كل شيء لا تترك وراءها إلاّ الرماد والدخان المتصاعد في السماء الدال على القحط والجفاف وانعدام الهواء أيضا، ومن هنا استطاع الشاعر الجاهلي التعبير كما يراه في حياته، فصور حروبه مستمدة من بيئته ومن مخزونه العقلي الذهني، فبدت هذه الصورة كأنها حقيقة مائلة إلى يومنا هذا ،فالدمار والخراب والدم والذبح وكل ما تخلفه الحروب لم تكن إلا صورا لهذه الصفات التي زرع الهلع في قلوب السامعين ،لكن عندما تدق طبول الحروب تغيب حواس الناس فلا سمع ولا بصر، ولا يقين ولا بصيرة فيقتل الأطفال والشيوخ وتهيم النساء ثكلى وأرامل ويشرد الناس ويضيع البشر بين حاضر مؤلم ومستقبل مبهم هذه هي الحرب.

خاتمـــــة

خاتمة:

إلى هنا يكون البحث قد استوفى –بعون الله–فصوله وعناوينه، وكم كانت جميلة تلك السويعات التي قضيناها في عالم الحرب والصعلكة في شعر عروة بن الورد رغم أنها كانت متعبة ومجهدة، إلا أن متعتها فاقت مشقتها، ويمكن تلخيص النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في النقاط التالية:

1. لقد كانت الحرب سبب الدمار، وملحقة الأسنة والرماح، النموذج الأعلى للقتل والخراب، فهي النار التي تأكل الأخضر واليابس، فالحرب تحريض وردع لوضع الإنسان الجاهلي، فهي مصدر خوف ورعب.
2. رأينا بأن الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاهرة هي المبرر الأسمى والفتيل الذي أشعل لهيب الحرب.
3. رأينا بأن الحرب بالسلاح هي استعمال للقوة للانقضاض على الأعداء ووسيلة لمواجهتهم بكل إقدام، أما الحرب الباردة فهي كسر للمعنويات وتلاعب بالهمة لتجريد الخصوم من الإرادة.
4. لقد كان الجاهلي يعيش حالة حرب دائمة تمثلت في الغزوات والغارات ولذلك كان للسلاح دور فعال وأهمية كبيرة، فقد كان مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان الجاهلي والصعلوك بصفة خاصة، فهو شيء لا يستغني عنه الفرد ولا الجماعة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والحربية.
5. إن العرب الجاهليين ساروا على نهج سابقيهم من الأمم والأقوام في حروبهم من حيث الاستعداد لها، والعادات المتبعة فيها وهذا يؤكد التواصل الفكري بين الحضارات، ويفسر تشابه الحرب في طرقها ودوافعها.
6. إن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إما بمدلوله المباشر وهو المجرد، وإما بآثاره كالضمور والهزل، كما أن الصعاليك هم جماعة احترفت القتال والغزو وحمل السلاح

وقطع الطريق، واصطبروا على الشدائد وقسوة الحياة والصعلكة هي احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم.

7. الصعاليك كونوا مجتمعا خاصا بهم أن خرجوا على مجتمع القبيلة، وهذا المجتمع نشأ بفعل تحالف وتآلف عدد من الصعاليك على اختلاف طوائفهم وتعدد ألقابهم وذلك لمحاولة زيادة قوتهم عن طريق التجمع والتعاون.
8. عرف الصعاليك بجرأتهم وإقدامهم على اقتحام المهالك والمخاطر وامتيازهم بالشجاعة والصبر وسرعة العدو والفرار، حيث يقطعون الطرق ويغيرون على القوافل ويسلبونها، ولذلك يتردد في شعرهم صيحات الجزع والفقر ووصف الحيوان، وذكر رفاقهم الذين يعيشون معهم تلك المغامرات وعلى هذا الأساس بنيت موضوعاتهم حيث نراها لا تخرج عن هذا السياق.
9. لقد كانت لعروة بن الورد حقيقة مهمة كغيره من شعراء عصره في بناء قصائده ومقطوعاته التي تتوفر على ملامح فنية خاصة به، إذ يتمازج البعد الذاتي والموضوعي ويتداخل كذلك فيها البعد الاجتماعي مع الفني والجمالي، فالصعلكة مذهب في الحياة استدعت لغة مخصوصة وطرائق في القول متميزة.
10. إن صفات الصوت من جهر وهمس وشدة ورخاوة تؤدي دورا في التعبير عن الغضب والقوة والخوف والسكون في قصائد عروة بن الورد، فالصوت لا يقتصر على الإسماع فقط.
11. إن المستوى الصوتي استطاع أن يؤدي أدوارًا دلالية متماسكة تبرز النص متناسقا مما يكشف موطنا هاما من مواطن الجمال فيه، حيث نلاحظ أن الترابط بين الصوت والدلالة في كافة مستويات النص من قافية وروي وتكرار ووزن وبنية صوتية.
12. لقد كان جانب الوزن لدى عروة بن الورد مترادفا مع ما ظهر منه في أشعار من عاصرهم، من حيث هيمنة البحر الطويل.

13. استمد عروة بن الورد معانيه من التجربة الحسية كما سعى في بناء صوره الشعرية من تشبيه واستعارة وكناية إلى الربط بين الفن والمجتمع.
14. تميزت الصورة الاستعارية بالبساطة، وقد اخذت نوعا من اهتمام الشاعر، وذكرت لغرض التوضيح وتقوية المعنى والتأثير في نفسية المتلقي حيث اتسمت هذه الصورة الاستعارية بنمط واحد باعتبار طرفيها وهي الاستعارة المكنية.
15. كان للكناية دورا فعالا وكبيرا في بناء قصائد ومقطوعات عروة بن ورد حيث لا يخلو شعره من هذه الصورة الشعرية.
16. كان الرجل في شعر عروة بن الورد يحمل صفات الرجل العظيم الذي يرأس قومه في غاراتهم، والمنفذ الوحيد الذي يستعينون به في أشد حاجاتهم وأيامهم.
17. المرأة في شعر الصعاليك تعتمد على تقنية الحوار والإقناع من أجل إخماد غضب الشاعر وكفه عن الحروب، فهو يشاركها الرأي والمشورة، ولكن هذه المشاركة لا تتجاوز حدود الإصغاء لخطاب تلك المرأة دون أن تحدث استجابة أو تغيير في نهج حياته.
18. استطاع عروة بن ورد تجسيد تلك العلاقات التي تكمن بين الحرب والفقر والحيوان المفترس أحسن تجسيد وتصوير.

إن شعر عروة بن الورد شهادة تاريخية واجتماعية عن تلك الظاهرة الفريدة وهي الصعلكة كحركة احتجاج اجتماعية واقتصادية وجهها لخدمة أغراض عادلة للجماعات المضطهدة بعيدا عن هدف الغزو لغرض التفوق وزيادة الثروة والمال ويمكننا القول: إن شعر الصعاليك صور لحياة الصعاليك وقد جاءت الصور الفنية والإيقاعية موضحة لقضاياه وموضوعاته وخصائصه الفنية.

ملخـــص

ملخّص:

حاولنا في هذا البحث حل إشكالية الحرب في شعر الصعاليك من خلال قصائد أحد أهم صعاليك العصر الجاهلي "عروة بن الورد" للإجابة عن سؤال فحواه: كيف تجسدت فكرة الحرب في عالم الصعاليك؟

فاعتمدنا في مادة بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع الأدبية التي تناولت الحرب والصعلكة، وعرضنا لعروة بن الورد بعض جوانب حياته بدأنا بالحديث عن الحرب وأسبابها وأنواعها وعدتها وعاداتها وآثارها وعلاقة الحرب بالصعلكة، وبعدها انتقلنا إلى الصعلكة وأنواعها وأسبابها وطوائف الصعاليك والألفاظ التي ارتبطت بهم، وقوفا على موضوعات الصعلكة والخصائص الفنية لشعر الصعلكة لننتقل إلى الفصل التطبيقي حيث أعطينا لمحة وجيزة عن تجليات الحرب في شعر عروة بن الورد في عدة نقاط وهي الحرب ودلالة البنية الصوتية، الحرب والصورة الشعرية ،دلالة الحرب في شعر عروة بن الورد لنختم البحث في الأخير بجملة من النتائج قوامها أن الحرب في شعر الصعاليك تتمثل في تلك الظروف الجغرافية والأوضاع الاقتصادية وتقاليد اجتماعية قاهرة واعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع من بينها ديوان عروة بن الورد وشعر الصعاليك منهجه وخصائصه لعبد الحليم حنفي.

وأخير، هذا ما استطعنا تحقيقه في هذا البحث، فإن وفقنا فالله سبحانه وتعالى ولي التوفيق، وإن أخطأنا فهو سبحانه المنزه عن الخطأ.

Résumé:

Nous avons essayé au sein de cette recherche de résoudre la problématique de la quarre dans la poèmes de l'un des plus importants des xèlèrats de l époque antéislamique (ouroua bno elouard) En vue de répondre à une question dont la teneur : Comment s'est concrétiser l'idée de la qèrre au monde des xèlèrats. Nous avons compté dans la matière de notre recherche ,sur un ensemble de ressources et références littéraires qi ont abordé la gèrre et la xèlèratesse et nous avons exposé certains cotés de la vie d ouroua bno elouard ,en commençant par la gèrre et ses causes et ses types genres et son équipement, ses traditions, ses effets et sa relation avec la xèlèratesse .par la suite ,nous avons passé à la xèlèratesse et ses types, ses causes ,les sèctes des xèlèrats et les termes qi se sont reliès à eux .Yàrretant sur les syets de la xèlèratesse et les caractéristiques artistiques de la poésie de la xèlèratesse . pour passer la suite au chapitre pratique ou nous avons donné un aperçu prèf sur les émergence de la guerre dans la poésie d OUROUA BNO ELOUARD dans plusieurs points qi sont :La guerre et l'image poétique ,la sémantique de la guerre dans la poésie d ouroua bno elouard ,pour conclure la recherche à la fin par un ensemble de résultats dont l'essentiel est que la guerre dans la poésie des xèlèrats se définit dans ces circonstances géographiques et situations économiques et traditions sociales insupportables et nous avons compté sur un ensemble de ressources et références entre outre l'ouvrage poétique d ouroua bno elouard et «abd el halim hafeni.

Enfin, cela est ce que nous avons prélise au sein de cette recherche, Si nous avions raison, c'est que Allah exalté ,est le domeur de la raison ,et si nous avions tord c'est que Allah exalté est seul qui ne peut avoir tord.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*القرءان الكريم (برواية ورش)

أولا. المصادر:

1. عروة بن الورد والسموأل: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.
2. عروة بن الورد: الديوان: شرح: ابن السكيب، تح، عبد المعين ملوحي مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د، ط)، 1966.
3. عروة بن الورد: الديوان: شرح: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
4. عروة بن الورد: الديوان، شرح: سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1962.

ثانيا . المعاجم:

5. ابن دريد: جمهرة اللغة، تح، رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
6. ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات، ج2، ط1، 2000.
7. إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج4، ط4، 1990.
8. إيميل بديع يعقوب: المعجم المفضل في علم العروض والقافية وفنون الشعراء، الكتب 1991.
9. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، 1987.
10. جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409هـ.

- ابن منظور:

11. لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1، (د، ط)، (د، ت).
12. لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، مج4، ج27، (د، ط)، (د، ت).
13. مجموعة من اللغوين: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
14. مجموعة من اللغويين: معجم الوسيط، مطابع دار الهندسية، ج1، ط3،1985. العلمية، بيروت دار ، لبنان، ط1.

ثالثا. المراجع:

15. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.
16. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح، حسين هنداوي، دار العلم، ج1، ط1، 1985.
17. ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 2000.
18. ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ج1، ج3، ج6)، ط1، 1983.
19. أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1976.
20. أحمد كمال زكي: شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1969.
21. بشار سعيدي اسماعيل: شعر الصعاليك الجاهليين في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، دار مجلان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، 2015.

22. تأبط شرا: الديوان، جمع وتحقيق وشرح ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984.
23. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992.
24. جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988.
25. جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد العراق، (ج1، ج5)، ط2، 1993.
26. حسين ناصر: القافية في العروض والأدب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
27. الحفاجي محمد عبد المنعم: الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1973.
28. رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، (د، ط)، 2006.
29. سيغموند فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت، تر، عبد المنعم الحنفي، دار راشد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992.
30. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط24، 2003.
31. صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، ط1،1966.
32. ضناوي سعيدي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

33. عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، مطابع الهيشة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، 1987.
34. عبد الرحمان حسن الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار العلم، دمشق، سوريا، ج6، ط1، 1996.
35. عبد الرحمان عفيف: الشعر الجاهلي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
36. عبد الرحمان عفيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان. 1982.
37. عبد الرحمان عميرة: الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2006.
38. عبد القادر بن عمر البغدادي: خزاعة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1979.
39. عبد الله درويش: دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط3، 1978.
40. عبد المجيد زراقط: الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1993.
41. عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1988.
42. غازي طليمات: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلين دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 2007.
43. القيسي نوري حمودي: الطبيعة في العصر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

44. القيسي نوري حمودي: الفروسية في الشعر الجاهلي: مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

45. محمد رضا مروة: الصعاليك في العصر الجاهلي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

46. محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2002.

47. محمود شكري الآلوسي البغدادي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط).

48. مخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

49. نعيم علوية: نحو الصرف ونحو المعنى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

50. الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

51. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلين، دار غريب للطباعة، القاهرة مصر، (د، ط)، (د، ت).

رابعا. الدوريات والمجلات:

52. سعيد عكاشة: سيميائية الحرب في الشعر الهذلي، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، تح، بوخاتم موالي علي، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع3، 2014، 2015.

53. كامل عبد ربه حمدان: الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج6، ع3، 4، 2007.

54. محمد بن يحي: قوافي الشعر العربي من التقطيع العروضي إلى نظام المقاطع الصوتية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
55. وهب أحمد رومية: الشعر والناقد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 331، 2006.

خامسا. الأطروحات والرسائل:

56. ابتسام نايف صالح أبو الرب: صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ إحسان الدبك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2006.
57. أحلام عبد العالي غالي الصاعدي: شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شراحها دراسة نقدية، إشراف الأستاذ حسن محمد باجودة، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في الدب العربي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى.
58. صلوح بنت صالح بنت سعيد السريحي: الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، أطروحة دكتوراه أحمد سيد محمد، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1998.
59. عبد العزيز بزيان: صورة المرأة في شعر الصعاليك العصر الجاهلي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العرب القديم ونقده، إشراف الأستاذ محمد بن زاوي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، 2012.
60. ناهد جعفر: عدة الحرب في الشعر الجاهلي، إشراف الأستاذ إحسان عباس، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1985.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأوّل: الحرب في العصر الجاهلي

أولا: تعريف الحرب.....5

أ-المفهوم اللغوي.....5

ب-المفهوم الاصطلاحي.....6

ثانيا: أسباب الحرب.....8

أ-الدافع الاجتماعي.....8

ب-الدافع الاقتصادي.....9

ثالثا: أنواع الحرب.....11

أ-الحرب الباردة.....11

ب-الحرب بالسلاح.....13

رابعا: عدة الحرب.....14

أ-السيف.....14

ب-القوس والسهم.....16

ج-الرمح.....17

د-الدرع.....17

هـ-الترس.....19

خامسا: عادات الحرب.....19

سادسا: آثار الحرب.....22

سابعا: علاقة الحرب بالصعلكة.....24

الفصل الثاني: شعر الصعلكة في العصر الجاهلي

أولا: تعريف الصعلكة..... 29
أ-الصعلكة في اللغة..... 29
ب-الصعلكة في الاصطلاح..... 31
ثانيا: أسباب الصعلكة. 33
أ- عدم وجود دولة جامعة..... 34
ب- طبيعة الأرض والحياة..... 34
ثالثا: أنواع الصعلكة. 36
أ-الصعلكة الثائرة..... 36
ب-الصعلكة البائسة اليائسة..... 36
رابعا: طوائف الصعاليك..... 36
أ-طائفة الخلعاء والشذاذ..... 37
ب-طائفة الأغربة السود. 37
جـ- طائفة الفقراء المتمردين..... 38
خامسا: الصعلكة وألفاظ أخرى. 39
أ-خليع..... 39
ب.-فاتك:..... 40
جـ- الذؤبان..... 40
سادسا: موضوعات الصعلكة..... 41
أ-شعر الصراع. 41
ب-الشعر الاجتماعي..... 46
سابعا: الخصائص الفنية لشعر الصعاليك. 49

أ-المقطعات الشعرية..... 49
ب-الوحدة الموضوعية..... 50
ج- الواقعية..... 50
د- التحلل من الشخصية القبلية..... 51
هـ- الموسيقى الشعرية..... 52

الفصل الثالث: تجليات الحرب في شعر عروة بن الورد

أولا: الحرب ودلالة البنية الصوتية..... 55
أ-دلالة الصوت..... 55
ب-دلالة القافية..... 60
ج-دلالة الوزن..... 65
د-دلالة التكرار..... 67
ثانيا: الحرب والصورة الشعرية..... 71
أ- دلالة التشبيه..... 72
ب- دلالة الاستعارة..... 74
ج- دلالة الكناية..... 76
ثالثا: دلالة الحرب في شعر عروة بن الورد..... 78
أ-الحرب والرجل..... 78
ب-الحرب والمرأة..... 80
ج-الحرب وثنائية الفقر والغنى..... 83
د-الحرب والحيوان المفترس..... 85
خاتمة..... 88
ملخص..... 92

Résumé..... 93
قائمة المصادر والمراجع..... 95
فهرس الموضوعات..... 102